رسالة نزهة الإخوان في تفسير قوله تعالى
قالوا يا لوط مسلسل [illegible]

متفرقة

نزهة الاخوان
ع

نزهة الاخوان في تفسير قوله تعالى
قالوا يا لوط انا رسل ربك الآية

كتاب نزهة الأخوان في ال

تاليف سيدنا الشيخ الامام العالم
العلامة المحقق المدقق ابي عبد الله
محمد الكافيجي الحنفي عامله الله
بلطفه الخفي محمد وآله
والحمد لله وحده
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان تذكرة للعالمين
وارسل رسوله محمدا رحمة للعالمين صلى الله عليه
وعلى آله واصحابه ابد الابدين وبعد
فهذه تحفة منا الى الاخوان والخلان اسعدهم
الله تعالى في الدارين بالمجد والاحسان متعلقة
باية كريمة من القرآن ومطلعة على ما فيها
من الغرايب البديعة الشان ومشيرة الى مناط
الاعجاز الذي هو فوق المعان بكلام بليغ ذي
تبيان ومرتبة على ثلاثة ابواب عبقرية حسان
وذلك انما هو بفضل الكريم المنان انه هو الجواد
الحنان

الباب الاول

في بيان لمعة يتعلق بها بيان
اسرار تفسير هذه الآية
الكريمة من القرآن

واما بيان جميع ما يتعلق به فهو ليس بداخل تحت دايرة
نطاق الضبط والبيان وفوق وسع طاقة البشر والانسان

وانشدت في مثل هذا

انظر الى نظري اليك فانه عنوان ما اخفيت في احشاي

وقريب من ذلك قول من قال

واني لا استطيع كنه صفاته ولو ان اعضاي جميعا تكلم

وما احسن قول من قال

خذ الخلال من الخليل وقل له ان الخلال من الخليل جليل

فاذا نشرع ههنا في الكلام على سبيل الايجاز المقبول
لدى الانام فان خير الكلام ما قل ودل على المرام

في

لاسيما اذا كان نظمه فحلا ومعناه بكرا وكان مع ذلك
ختامه طيبا ومسكا فاقول التفسير ماخوذ من
الفسر وهو الكشف والاظهار ويقرب منه السفر
كقرب لفظه ولذا قال البعض الفسر هو مقلوب
السفر يقال اسفر الصبح اذا اضاء اضاءة لا
شبهة فيه وهو الفجر الصادق بخلاف الفجر الكاذب
على ما فصل احوالهما واسبابهما في نهاية الادراك
وغيرها في علم الهيئة فمن اراد الوقوف على ذلك فليرجع
اليه ويقال ايضا سفرت المراة عن
وجهها اذا كشفت نقابها ولهذا سمي السير سفرا لانه
يظهر عن اخلاق الرجال وقيل التفسير ماخوذ من
التفسره وهو اسم لما يعرف به الطبيب المرض واما
بناؤه على باب التفعيل فانما هو لقصد المبالغة والتاويل
تفعيل ايضا وهو ماخوذ من آل يؤول اذا رجع هذا
كله انما هو باعتبار المعنى اللغوي واما معناه العرفي

فهو كشف معاني القران وبيان المراد منه والتاويل في
العرف فهو صرف اللفظ الى بعض الوجوه ليكون موافقا
للاصول من متواتر او اجماع الامة كما اذا قال القائل
الظاهر ان المراد من الاستواء في قوله تعالى الرحمن على
العرش استوى هو الاستيلاء بما لاح لي من الدليل
فذلك تاويل براي الشرع لانه ما استفيد الا من
الشرع قال الشاعر

قد استوى عمرو على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

واما اذا قال المراد منه هو الاستقرار عليه كما زعم البعض
فيكون تفسيرا بالراي على سبيل التشهي غير موافق لدليل
من الادلة فيكون داخلا تحت قول النبي صلى الله عليه
وسلم من فسر القران برايه فليتبوا مقعده من النار
فاذا الويل كل الويل لمن فسر القران او اوله وهو غير
عالم بما هو محتاج اليه في التفسير والتاويل وذكر
في بعض كتب التفسير انه اذا قيل لك ما معنى لا ريب في

قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه وقلت معنى لا
ريب لا ريب يكون هذا تفسيرا واذا قيل لك فكيف تنفى الريب
وكم من مرتاب فيه وقلت في الجواب عنه انه في نفسه حق
وصدق ومتى نظر فيه علم انه صدق فانتفى عنه الريب يكون
هذا تاويلا **والآية** في الاصل هي العلامة الظاهرة ومن
ههنا نشا قول من قال وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد
فاطلقت على طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها
بفصل ويسمى آخر الآية بالفاصلة كما تسمى اواخر السور بالغايات
فتكون الغاية اعم من الفاصلة **والقرآن** في اللغة هو الجمع
وفي العرف هو الكلام المنزل للاعجاز بسورة منه
ثم ان لراوي التفسير شروطا كما لراوي الحديث
وهي اربعة العقل والضبط والعدالة والاسلام
ولا بد له من مستند في رواية التفسير لئلا يدخل تحت
قوله النبي صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برايه
فليتبوا مقعده من النار **والمستند** هو ما يصح لراوي التفسير

ان يرويه ويقبل منه وهو امور **احدها** قراءته على
الشيخ **ثانيها** قراءة الشيخ عليه **ثالثها** الاجازة
رابعها الوجادة الى غير ذلك من ساير انواع المستند
على ما فصل في محله **ثم المختار عند الجمهور ان**
عدد العلوم التي يحتاج اليها في تفسير القرآن ينحصر في
خمسة عشر علما وذلك بان نقول ان للانسان
علمين نافعين له في الدنيا والآخرة **احدهما** علم غايته
الاعتقاد وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر **وثانيهما** علم غايته العمل وهو
معرفة احكام الدين والعمل به فالعلم مبدأ والعمل
تمام ولا يتم العلم بدون العمل ولا يخلص العمل من دون
العلم ولذلك لم يفرد الله تعالى احدهما من الآخر
في عامة القرآن نحو قوله تعالى ومن يؤمن بالله ويعمل
صالحا وقوله تعالى ومن عمل صالحا من ذكر او انثى
وهو مومن وقوله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات

طوبى لهم وحسن مآب الى غير ذلك ولا تحصل هذان العلمان
كما ينبغي الا بعلوم لفظية وعقلية وموهبية
فالاول معرفة الالفاظ المفردة بحسب دلالتها
على ما وضعت له بحسب جوهرها وهو علم اللغة والثاني
معرفة مناسبة بعض الالفاظ الى بعض وهو علم الاشتقاق
والثالث معرفة احكام ما يعرض للالفاظ
المفردة من الابنية والصيغ وهو علم التصريف
والرابع معرفة احكام ما يعرض للالفاظ باعتبار
التركيب من الاعراب بحسب دلالتها على اصل المعنى وهو
علم النحو والخامس معرفة خواص تراكيب الكلام
من جهة افادتها لازم اصل المعنى وهو الذي يعبر عنه بمعنى
المعنى وهو علم المعاني والسادس معرفة خواص
تراكيب الكلام من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة
وخفائها وزيادتها ونقصانها وهو علم البيان
والسابع معرفة وجوه تحسين الكلام

من المحسنات المعنوية واللفظية وهو علم البديع
والثامن معرفة ما يتعلق بذات التنزيل وهو القراآت
والتاسع معرفة ما يتعلق بالاسباب التي نزلت
عندها الآيات والسور وتلك المعرفة قد تحصل بمطالعة
الكتب المدونة في اسباب النزول والعاشر
شرح القصص التي ينطوي عليها السور في ذكر الانبياء
والقرون السالفة وهو علم الآثار والاخبار
والحادي عشر ذكر السنن المنقولة عن النبي
صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه الذين شاهدوا الوحي
مما اتفقوا فيه ومما اختلفوا فيه مما هو بيان لمجمل او
تفسير لمبهم وهو علم السنن والثاني عشر معرفة
الناسخ والمنسوخ والعموم والخصوص والمجمل والمبين
والمحكم والمتشابه والظاهر والماول والمنطوق
والمفهوم والاقتضاء والدلالة والاجماع والقياسات
الشرعية والمواضع التي يصح فيها القياس والتي لا يصح

فيها وهو علم اصول الفقه والثالث عشر معرفة
احكام الدين واداب والسياسات الثلاث التي
سياسة النفس والاقارب والرعية وهو علم الفقه
والاخلاق والرابع عشر معرفة الادلة العقلية
والبراهين الحقيقة والتقسيم والتحديد والفرق
بين المعقول والمظنون وغير ذلك وهو علم النظر
والكلام والخامس عشر علم الموهبة وذلك
علم يورثه من عمل بما علم واتقى واحسن كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه
الله تعالى علم ما لم يعلم فمن تكاملت له العلوم خرج عن
كونه مفسرا للقران برايه ومن فاته بعض ذلك
مما ليس بواجب معرفته في تفسير القرآن واحسن من نفسه
واستعان بارباب به واقتبس منهم واستضاء باقوالهم
لم يكن ان شاء الله مفسرا للقرآن برايه ٥

واداب ٤

الباب الثاني

في بيان ما يشير الى علو جناب نباهة شان هذه الآية اعني بها قول الله تعالى حكاية عن الملائكة ٥

قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك
بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امراتك انه مصيبها
ما اصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب ٥
وفي هذا الباب ثلثة مقاصد **المقصد الاول**
متعلق ببيان هذه الآية من حيث اللغة والمعنى والصرف
والاعراب وغير ذلك من العلوم التي يكون لها نوع ارتباط
بها ههنا **فاقول** قال في قوله تعالى قالوا فعل ماض
فاعله الواو الضمير المرفوع المتصل العايد الى الملايكة
والقول هو الحكاية وهو ايراد اللفظ على استيفا صورته
الاولى كما في قوله تعالى قال اني عبد الله والفعل مع
جميع ما يتعلق به من معمولاته كلام قد ورد على

الاستيناف فلا يكون له محل من الاعراب **ويا** حرف
النداء ولوط منادى مبنى على الضم منصوب المحل بيا
ويا تستعمل للقريب في الكلام كثيرا فلو اختص استعمالها
بالبعيد حسن استعمالها ههنا ايضا لتنزيل نباهة شانه
وسطوع كمال جلالة قدره بمنزلة بعد المسافة
من المنادى مع ان في استعمالها ههنا زيادة تنبيه
وايقاظ مناسب لمقتضى خصوصية هذا المقام
ويشير اليه الامر بالاسرا بقطع من الليل على سبيل
التعقيب **ولوط** اسم منصرف مع تحقق العجمة والعلمية
لانه لما كان اسما ثلاثيا ساكن الوسط في غاية الخفة
قاومت خفته احد السببين ولا يخفى عليك ان استدلال
علماء العلوم العربية انما هي تنبيهات على المناسبات بعد
الوقوع فيكون ما ذكرنا ههنا كافيا في التنبيه على المناسبة
الموافقة لاعتبار لزوم الصرف في مثل لوط ونوح عليهما
الصلوة والسلام فلا يلزمه عدم لزوم الصرف في هند

ودعد على ما فصل في موضعه **فان قلت** فكيف
يجوز ذلك هذا التوجيه ههنا على سبيل الراى وانه مردود
شرعا **قلت** لا استبعاد ههنا فان العلماء
قد اجمعوا على جواز مثل هذا التوجيه شرعا لكونه موافقا
للقواعد العربية فكيف لا وكتب التفاسير مشحونة
بامثال هذا التوجيه يشهد بذلك كل من يطالعها شهادة
عيان فلا يكون هذا وامثاله تفسيرا للقرآن بالراى لكونه
متعلقا ببيان احوال اللفظ العربي لا ببيان معنى القران
بالراى فيكون هذا وامثاله من قبيل فروع قواعد العلوم
العربية كعلم الصرف والنحو وغيرهما **فان قلت**
فهل التفسير بالراى المعروض على الاصول من القرآن
والاجماع وغيرهما مقبول شرعا **قلت**
نعم على ما قرر وحرر وفصل في التفسير فمن اراد الوقوف على
ذلك كما ينبغي فليرجع اليه **وان** حرف من الحروف المشبهة
بالفعل يؤكد مضمون الجملة **فان قلت** التاكيد

علم صح

بعد الموكد فما معنى التاكيد ههنا **قلت** معناه ههنا
هو التقرير والتقوية **فان قلت** فهل يتصور
التاكيد بعد الموكد ههنا **قلت** يتصور
ههنا من حيث المعنى عند امعان النظر وذلك انها توكد
مضمون الجملة في ذهن السامع بعد تعقله اياه اولاً
فان قلت فلم قدم في الذكر **قلت**
للاهتمام بالتاكيد ولزوم احتياج الحرف في الدلالة
على معناه الى ذكر متعلقه لفظًا او تقديرًا فلو اخر عنه
لتعذرت الدلالة على معناه او تعسرت **ونا** ضمير متصل
عبارة عن الملايكة منصوب المحل على انه اسم ان وخبرها
رسل وهي جمع رسول مضافة الى **رب** وهو مضاف الى الضمير
المجرور المتصل المراد منه لوط عليه السلام والرب معناه
المالك من ربه يربه فهو رب وقيل هو في الاصل بمعنى
التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئًا فشيئًا وصف به
للمبالغة كما وصف بالعدل والصوم وهو اسم من اسماء الله تعالى

ولا يطلق على غيره الا مقيدًا كقولهم رب الدار ورب الدرهم
الى غير ذلك **واما الرب** في قول الله تعالى قل اغير الله ابغي ربا
وهو رب كل شيء فهو في حكم المقيد لا يخفى على الفطن ٥
فان قلت فهل في اضافة الرب الى ما بعده تذكير
لاستمرار نعمة التربية **قلت** نعم فيها تذكير
له وفيها ايماء الى استمرار الشكر الصادر عن العبد حسب
استمرار النعمة الواصلة اليه وترغيب فيه ايضًا ٥
فان قلت قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال تخلقوا باخلاق الله تعالى فينبغي ان يكون للعبد
حظ من اسماء الله تعالى وصفاته فما حظ العبد من اسم
الرب ومعناه **قلت** حظ العبد منه ان يصل الى
غيره الخير دايمًا بحسب الوسع والطاقة كما ان الله تعالى ينعم
على عباده على الدوام نعمًا لا تعد ولا تحصى **فان قلت**
فهل في تاكيد مضمون هذه الجملة ايماء الى ان لوطًا ليس بعالم
بحال الملايكة هل هم رسل ام لا **قلت**

٧ منه

نعم بل فيه ايماء ايضا الى انه منكر لكونهم رسلا بادى الرأى
نظرا الى الحال يشير الى ذلك قوله تعالى فلما جاء آل لوط
المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا
فيه يمترون واتيناك بالحق وانا لصادقون وروى ان
الملائكة لما جاءت اليه فى صورة الشبان
الحسان الوجوه على احسن ما يكون من الملاحة واللطافة
وجاءه قومه يهرعون اليه وضاق عليه ذلك وقد
رات الملائكة ما لقى لوط من الكرب قالوا يا لوط ان
ركنك لشديد انا رسل ربك لن يصلوا اليك اى لن يصلوا
الى اضرارك باضرارنا فجملة لن يصلوا اليك جملة موضحة
لجملة انا رسل ربك لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا
اليه ولم يقدروا عليه **فان قلت** فهل
لهذه الجملة محل من الاعراب **قلت** نعم انها
منصوبة المحل بشهادة النحوى ومعونة المقام كجملة
انا رسل ربك فانها جواب النداء والنداء مع جوابه مقول

القول منصوب المحل على انه مفعوله **فان قلت**
فاى مفعول هو من المفاعيل **قلت** اختلف النحاة
فيه فذهب ابن الحاجب الى انه مفعول مطلق نوعى كما
ذهب غيره الى انه مفعول به **فان قلت** فهل
النزاع ههنا نزاع حقيقى **قلت** انه نزاع
حقيقى بحسب الظاهر بادى الرأى لكنه فى التحقيق
نزاع لفظى فمن اراد الوقوف على تحقيق ذلك فليرجع
الى كتابنا شرح قواعد الاعراب لابن هشام ، ٥
فان قلت اى المذهبين ههنا اظهر عندك
قلت مذهب الجمهور ههنا اظهر وان كان
مذهب ابن الحاجب ههنا اقوى فى التحقيق وحال مذهب
الجمهور ههنا مع مذهب ابن الحاجب كحال القياس
مع الاستحسان **فان قلت** الجملة لا يكون
لها محل من الاعراب الا اذا وقعت موقع مفرد فهل يتصور
وقوعها موقعه ههنا مع ان مقول القول يكون جملة

ولهذا وجب كسر ان بعد القول على ما فصل في موضعه ٥

قلت يتصور من حيث ان معقول القول

مفعول والمفعول مظنة الافراد والمظنة كافية في امثال

هذا على ان المفرد قد ذكر بعد القول كثيرا ٥

ومنه قول الطرماح

إذا قال غاوٍ من تنوخ قصيدةً بها جرب عدّت علىّ بزوبرا

والفاء في قوله تعالى فاسر باهلك بقطع من الليل فاء

عاطفة والمعطوف عليه قوله انا رسل ربك ٥

فان قلت فكيف يتصور ذلك مع ان المعطوف

عليه خبر والمعطوف انشاء قلت لا استبعاد

ههنا فان المعطوف ههنا بالفاء واذا كان العطف بالفاء

يجوز عطف الانشاء على الخبر بشهادة الاستعمال مع استقامة

المرام من الكلام على ما حرر في موضعه ومثل هذا كثير

جدا في الشواهد وموارد الاستعمال قال الله تعالى

إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر

فان قلت

70

فان قلت فهل يحتمل الفاء ههنا غير العطف كالجزائية

وغيرها قلت يحتمله لكنه غير جلي فلذلك

اعرضنا عن ايرادها وتوجيهها فان قلت فهل

يجوز عطف الانشاء على الخبر اذا كان بالواو قلت

يجوز اذا كان المعطوف والمعطوف عليه داخلين تحت

القول والذي نحن بصدده الآن كذلك والشاهد له

قوله تعالى وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ٥

وكذلك يجوز عطف الانشاء على الخبر بالواو في عطف

القصة على القصة كقولك زيد يعاقب بالقيد والارهاق

وبشر عمرا بالعفو والاطلاق وقد قال

الزمخشري وغيره يجوز عطف الانشاء على الخبر بالواو

وعكسه في الجمل التي لها محل من الاعراب كقولك قال

زيد نودي للصلوة وصل في المسجد وقولك زيد

ابوه صالح وما افسقه وعمرو ابوه بخيل وما اجوده الى

غير ذلك من الشواهد والامثلة وقرئ فاسر

بقطع الهمزة وبوصلها فبالقطع يكون من الرباعي وبالوصل يكون
من الثلاثي **يقال** اسريت وسريت بمعنى والسرى
هو السير والذهاب بالليل **واما الإسرا في قوله تعالى**
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا فالظاهر انه بمعنى السرى ايضا
اذا كان اسناده الى فاعله اسنادا مجازيا فيكون فيه
نوع من التاويل على ما هو المختار عند الخلف وهو الطريق
الاحكم واما المختار عند السلف فيه وفي امثاله هو
التوقف وتفويض علم ذلك الى الله عز وجل وذلك هو
الطريق الاسلم فيكون كل واحد من التاويل والتوقف
ههنا واقعا بحسب اختلاف الاحوال والازمان لا بحسب
اختلاف الدلايل والبرهان فلا نزاع ههنا في التحقيق
فمرحبا بالوفاق وذلك بفضل الله الكريم الخلاق
ولقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى مثل
ما ذكر حيث قال لو كان موسى حيا لما وسعه
الا اتباعي **ومن ههنا نشا قول من قال**

حاصل جميع الشرايع واحد من حيث النظر الى مصالح
العباد ودرء المفاسد كما ان حاصل انواع العلاجات
في الفصول الاربعة مع اختلافها واحد بالنظر الى
جلب المصالح الى الابدان والى دفع المفاسد عنها **واما**
الاسرا فيه لو كان بمعنى الاذهاب فمعناه ظاهر بدون
القول بالتاويل والتوقف على ما تسمع وترى **قال**
الجوهري اسراه واسرى به مثل اخذ الخطام واخذ بالخطام
هذا ويقال سرو يسرو سراوة اذا صار سريا

قال الشاعر

وترى السرى من الرجال بنفسه
وابن السرى اذا سرى اسراهما

والباء في بابه لك بمعنى المصاحبة كما في قوله تعالى
تنبت بالدهن **فان قلت** فهل يحتمل ان يكون
للاستعانة والسببية ههنا **قلت** لا فان
ذلك ليس بحلي ههنا ولا بمناسب لمعنى الكلام والمقام

واهل مجرور بها مضاف الى الكاف وهو خطاب للوط
عليه السلام والجار مع المجرور متعلق باسر والباء في
بقطع من الليل كالباء في قوله تعالى فاسر باهلك ٥
مع ان فيها تضمين معنى في بشهادة استقامة معنى الكلام
والمقام والقطع من الليل طايفة منه والليل معروف
لغة وعرفا واصطلاحا ومن الليل مجرور المحل على انه
صفة لقطع وهو مجرور بالباء والجار مع المجرور متعلق
باسر ايضا **فان قلت** فهل يجوز ان يتعلق
حرفا جر بمعنى واحد بعامل واحد **قلت**
يجوز بل هو واقع لاسيما حين افاد احدهما معنى غير ما افاده
الآخر ولو بمعونة المرام واقتضاء المقام **قال**
اهل التفسير في تفسير قوله تعالى كلما رزقوا منها من
ثمرة رزقا من الاولى ومن الثاني كلتاهما لابتداء الغاية
ومنه قولك كلما اكلت من بستانك من الرمان حمدتك
وتحقيق ذلك ان رزقوا مطلقا مبتدا من ضمير الجنات

ثم جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات فاذا تقرر هذا
ههنا فتقرب ما نحن بصدده الآن يكون ظاهر الاشبهة
فيه وعلى طرف الثمام بادنى تامل في معنى الكلام والواو
في قوله تعالى ولا يلتفت منكم احد الا امراتك لعطف
هذا القول على قوله تعالى فاسر باهلك بقطع فالجامع
بينهما ظاهر **فان قلت** اى قسم من اقسام
الجامع هو اجامع عقلي ام جامع خيالي ام جامع وهمي
قلت الله اعلم الظاهر انه جامع عقلي
فان قلت فهل يجوز ان يتصور ههنا جامع
غير جامع عقلي **قلت** نعم لكنه ليس بجلي
فان قلت فهل في الامر والنهي اشعار
بامتياز الصالحين عن الطالحين ونجاة المومنين مع لحوق
الدمار بطايفة الكافرين خاصة **قلت** نعم
وفي ذلك فوايد اخر يفهمها اولوا الفكر والاعتبار ٥
قال الله تعالى لقد كان في قصصهم عبرة

لاولى الالباب ٥ ولا يلتفت فعل منهى عنه
مجزوم بها واللفت في اللغة هو اللي ويقال
لفت فلان وجهه عنى اذا صرفه ويقال لا تلتفت
لفت فلان اى لا تنظر اليه والمراد منه هو النظر الى الوراء
في الذهاب فيكون الملتفت اليه محذوفا لقيام قرينة
دالة عليه ومنكم حال من احد قدمت عليه للاهتمام
به ولدفع الالتباس واحد مرفوع بفعل الالتفات
واحد يصح استعماله ههنا سواء كانت همزته اصلية
او منقلبة عن الواو فان قلت فهل ضمير
الخطاب في قوله منكم يتناول بظاهره لوطا واهله
بدون تكلف ارتكاب التاويل بالتغليب او بالالتفات
ههنا قلت نعم يشهد به التمرن في معرفة
انواع استعمال كلام العرب مع التامل الصادق في
السباق والسياق وفى موجب الكلام ومقتضى
المقام ولقد اشار اليه الزمخشرى في تفسير هذا

القول حيث قال رواية وامران لا يلتفت منهم احد الا
هى وسيجئ تحرير هذا فيما بعد ان شاء الله تعالى ٥
فان قلت فهل جاء كل واحد من مفردات هذا
القول والكلام على حده ووجهه فى مقامه حيث ذكر
بعضها بالاسم الظاهر وبعضها بالاسم المضمر كما جا كل
واحد من المفرد والجمع الواردين بصيغة الخطاب على حده
في موضعه واصاب محزه في قوله تعالى ذلك يوعظ به
من كان منكم يومن بالله واليوم الآخر ذلكم ازكى لكم
واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون قلت نعم
كما ورد جميع هذا القول والكلام في محله بحسب
مقتضى المقام قرى المستثنى بالنصب والرفع ههنا
على ما سيجئ تفصيله كما هو حقه على ما ينبغى في اثنا تحرير
حقايق المقصد الثانى ان شاء الله تعالى قيل اسم امراة
لوط والهة واسم امراة نوح والغة وذكر في كتب
التواريخ ان امراة لوط كانت عينا لهم على من كان عند لوط

من الضيفان وكانت على دينهم كما قال الله تعالى
وضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط كانتا
تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من
الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين اى خانتاهما في
الدين فلم تتبعاهما فيه وليس المراد انهما كانتا على فاحشة
حاشا وكلا لما قال ابن عباس وغيره من ايمة السلف
والخلف ما بغت امراة نبي قط ومن قال بخلاف ذلك
فقد اخطا خطاء كبيرا فمثل امراة لوط تستحق ان تكون من
الغابرين وتستحق ما تستحقه من العقوبة والبوار ٥

ولقد اشار الشاعر الى مثل هذا المعنى بقوله

لا أبتغي وصل من يبغي مفارقتي ۞
ولا ألين لمن لا يبتغي لينى ۞
والله لو كرهت كفي مصاحبتي ۞
يوما لقلت لها من ساعدي بيني ۞

وإن في قوله تعالى انه مصيبها ما اصابهم ٥

حرف من الحروف المشبهة بالفعل اسمها ضمير متصل بها
منصوب المحل وهو ضمير الشان وضمير الشان حيث ما
وقع يشعر بالابهام والمهابة والفخامة مع التشويق الى ما
ياتي بعده ليكون اوقع في القلوب والاذهان بناء على ان الحصول
بعد الطلب اعز من المنساق بلا تعب ۞ وان النفس مجبولة
على حب حصول العلم لانه كمال مختص بها **واما ضمير**
الشان الواقع في هذا الكلام بذي المقام فله فوايد
اخر لا تعد ولا تحصى كزيادة التهويل والتخويف والقاء
السرور الى الصدور بناء على ان خبر هلاك الاعداء
خبر مسر ومصداقه قول الله تعالى حيث قال
ان شانيك هو الابتر **ومنه قول من قال**
اطيب الطيبات قتل الاعادي ۞ وركوب على متون الجياد ۞
ورسول ياتي مع الميعاد ۞ وحبيب ياتي بلا ميعاد ۞
والشاهد لما ذكرنا هو ترك بيان ابهام ما
الموصولة مع بيان ابهام ضمير الشان بالجملة الاسمية

ههنا ولاقتضاء المقام طيه ايضا **فان قلت**
فهل يجوز ان يكون ما موصوفة **قلت** نعم
فان قلت لاشك ان الموصول انما هو من
قبيل المعارف فهل يتصور الابهام مع التعيين والتعريف
قلت نعم فان الموصول مبهم من حيث الذات
والهوية معلوم من حيث الصلة فاجتمع فيه جهتا الابهام
والتعيين فزال بناء الاستبعاد ههنا باساسه على ما
تسمع وترى ولذلك تعد الموصولات من قبيل المبهمات
كما عدت من قبيل المعارف **فان قلت**
فهل يجوز بيان المبهم ههنا على سبيل التاويل بفحوى
الكلام ومعونة المقام مع التامل في السياق والسياق
قلت نعم ومثل هذا جايز شرعا وانما الممنوع
عنه شرعا هو التفسير على سبيل القطع من تلقاء النفس
بدون العرض على الاصول المعهودة عند المفسرين ٥
وذكر في بعض كتب التفسير انه مصيبها
ما اصابهم من العذاب لانها كافرة مثلهم واما اذا اقتضى
المقام بيان المبهم في الكلام فلابد من بيانه فيه لاعطاء
المقام حقه كما ينبغي ولذا بين الابهام بقوله تعالى
من اليم في قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم ٥
ومصيبها مرفوع على انه خبر قدم على المبتداء للاهتمام
به ولكونه نصب العين في هذا الكلام مع اقتضاء
السياق اياه **قال الله تعالى** اياك نعبد ومنه
نحو قولك وجه الحبيب اتمنى **وقول الشاعر**
بنونا بنو ابنائنا وبناتنا ٭ بنوهن ابناء الرجال الاباعد
ومصيب اسم فاعل من باب الافعال فاعله ضمير مرفوع
مستتر فيه عايد الى الاسم الموصول الذي ياتي بعده
لفظا وهو متقدم عليه رتبة ولاجل هذا جاز رجوع
الضمير المرفوع المستتر فيه اليه مضاف الى الضمير
المجرور المتصل به العايد الى امراة لوط عليه السلام
واصاب فعل ماض من باب الافعال ايضا فاعله هو الضمير

المرفوع المستتر فيه العايد الى الاسم الموصول وهم ضمير
منصوب متصل به عايد الى القوم منصوب المحل على المفعولية
والفعل مع معموله جملة فعلية صله الاسم الموصول ٥
فان قلت فهل استعمل الفعل الماضي ههنا
مجازا في معنى المضارع اعلاما بان العذاب محقق الوقوع
لاحق بهم البته كما في قوله الله تعالى ونادى اصحاب
الجنة قلت نعم فان قلت
فهل الاحسن ان يكون مثل المجاز في مثل هذا المقام من
قبيل الاستعارة على معنى تشبيه غير الحاصل بالحاصل
في تحقق وقوعه قلت نعم فكيف وان
المقام يقتضيه اي اقتضاء لا يخفى ذلك على الفطن
صاحب الذوق السليم والطبع النقاد المستقيم ٥
والموصول وحده او مع صلته على اختلاف قولين عند
النحاة على ما فصل في موضعه مرفوع على انه مبتداء
قدم عليه خبره على ما ذكرنا والمبتدا مع خبره جملة

اسمية مفسرة لضمير الشان وخبر عنه فان قلت
ضمير الشان متحد مع خبره في الواقع وانما المغايرة بينهما من حيث
الاجمال والتفصيل فهل يفيد مثل هذا الخبر مع الاتحاد
وقد قالوا لا بد من المغايرة بينهما قلت انه
يفيد فائدة الاتحاد مع دفع توهم المغايرة بادي الراي
وفائدة الاتحاد ههنا مثل الفائدة في نحو قولك زيد قايم بل
هي اعظم منها على ما ترى وتشهد بذلك وضمير الشان
مع خبره جملة اسمية يوكدان مضمونها فان قلت
فهل يتصور الاجزاء الاربعة لها مع القول بالاتحاد في جملة
ضمير الشان قلت يتصور من حيث النظر الى
اللغة ودلالة الالفاظ بدون النظر الى الاتحاد والواقع
لما تقرر في موضعه ان دلالة اللفظ على ما في الاذهان
لا على ما في الاعيان فاذا الاتحاد بحسب النظر الى الخارج
والواقع لا ينافي التعدد بحسب النظر الى دلالة الالفاظ
لاختلاف الجهتين ونظير ذلك نحو قولك زيد موجود

فانه جملة لها اربعة اجزاء ومفيدة عند الكل سواء كان
الوجود عين الماهية في الخارج او غيرها اذ لا شك
ان زيدا وموجودا ونسبته اليه متغايرة من حيث النظر
الى دلالة الالفاظ فكذا الحال فيما نحن بصدده الان ونعلم
انت ان مباحث العربية لم تبن على مثل هذه المناقشة
ولا يحتملها الا ترى ان نحو قولك الانسان بشر كلام
تام خبري عند النحاة وارباب اللغة فالتحقيق ان خبر
ضمير الشان ٧ خبرية مفسرة مفيدة بنفسها وان لها اجزاء
بالفعل لفظا ومعنى **واما ضمير الشان فهو مفرد**
لفظا وفيه ابهام تام فلا يكون له اجزاء بالفعل لفظا من حيث
النظر الى دلالة اللفظ وظهر بينهما فرق جلي بهذا الاعتبار
وظهر ايضا في حق خبره حمل معنوي مفيد فاذا اندفع ههنا
توهم احد المحذورين اما لزوم التاكيد بعد التاكيد واما
الترجيح بلا مرجح وظهر ايضا الفرق بين الحمل المعنوي المفيد
وبين الحمل اللفظي فقط وبين الاتحاد بين المفردين وبين الاتحاد

٧ جملة م

بين

بين ضمير الشان وخبره فاذا اندفعت الشبهة ههنا بحذافيرها
على ما تسمع وترى **فان قلت** فلو لم تقل من اول
الامر هذا التحقيق والجواب حتى تسلم من تعب ايراد هذه
المباحث بالاطناب **قلت** لتقرر المطلوب
بعد ايراد هذه الشبه وابطالها بحيث لا يتوجه اليه اشكال
اصلا ولكون المقام مقام الاطناب ه

قال الشاكر

يرمون بالخطب الطوال وتارة * وحي الملاحظ خيفة الرقباء
ولكون الكلام ذا افنان والمعنى اخا المعاني ٧ ولكون
التمكين بعد التلوين احكم ولكون التلوين قرى الاشباح
والارواح وللترغيب في كسب مثل هذا التلوين
وللتنبيه على طرق التمرين فيه والسلوك في طريق التحلية
بعد السلوك في طريق التخلية ليكون حصول المطلوب
عند النفس الذ واعز واوقع الى غير ذلك من الاعتبارات
الخطابية المناسبة له فاذا ثبت ان لها اجزاء اربعة كسائر

٧ في الكلام م

القضايا فاى جزء منها موكد بان قصدا واصالة **قلت**
الموكد بها قصدا واصالة هو الجزء الرابع منها ولاجل ذلك
يقال يوكد مضمون الجملة بها ولا يقال يوكد منطوقها
بها **فان قلت** فما السبب الحامل على صرف
التاكيد اليه قصدا **قلت** السبب الحامل عليه
ان الجزء الرابع منها هو العمدة العظمى من حيث النظر الى
بقية الاجزاء وانه هو مطمح النظر ومحل الاعتبار وانه هو
المفاد من الكلام حقيقة واما باقى الاجزاء منه فهو
معاد فى الحقيقة او قريب منه وحاصل على سبيل الاستحضار
بدون الاستحصال فعلم من هذا ان دلالة الالفاظ
المفردة المعلومة الوضع لمعانيها الافرادية تفيد
استحضار المعانى ولا يفيد العلم بها فى العلم ما دام السامع
عالما بوضعها لها وظهر منه انه يصلح لان يكون سببا ٥
لانكار من انكر دلالة المفردات على معانيها وافادتها
اياها ثم انه معلوم عندك بالوجدان والبرهان ان

النفس مشتاقة الى النظر الى حسن وجه جمال الافادة
اى اشتياق ومسفرة عن صوب الالتفات الى لفت الاعادة
بلا ارتياب ولذلك يقدم التاسيس على التاكيد عند
التعارض فى مقام الافادة ولاجل هذا لا ترى فائدة فى
الاخبار بقدوم زيد بعد البشارة بقدومه وعيانه ولذا
يستحق المبشر به الجائزة عادة دون غيره من المخبرين
بقدومه بعد العلم بقدومه اولا فاذا علم السبب الحامل
عليه فلا يقتصر ذلك على ما ذكر ههنا بل قس عليه امثال
هذا اذ لا معنى للتقليد عند القدرة على التحصيل كما لا اعتبار
للتيمم عند القدرة على استعمال الماء الطهور ٥

وانشدت للتنخيب فى مثل هذا

مذاهب شتى للمحبين فى الهوى ولى مذهب فرد اقول به وحدى

فان قلت فهل لهذه الجملة محل من الاعراب
قلت لا اذ هى جواب على سبيل
الاستيناف كما فى قوله تعالى ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا

انهم مغرقون فكان لوط عليه السلام لما سمع قول
الملايكة من الامر والنهي ولوح ذلك له بالخبر
الدال على حلول العذاب بهم ونزول العقوبة عليهم
فبقى لوط عليه السلام مستشرفا له قايلا هل يصيبها ما
يصيبهم اجيب على احسن ما يكون فقيل انه مصيبها ما
اصابهم وهذا الذي ذكرته ههنا يوافق قول
القاضي البيضاوي في تفسير هذا القول ولذلك علله على
طريقة الاستيناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم
وان في قوله تعالى ان موعدهم الصبح حرف من الحروف
المشبهة بالفعل ايضا اسمها موعد مضاف الى الضمير العايد
الى قوم لوط والموعد مفعل اسم الزمان فيكون المراد
منه ههنا وقت هلاكهم لكن في لفظه الموعد عذوبة والطا
معنى ومهابة وفخامة ليست في لفظة الوقت وان كان
اقل حروفا منه فاذا فالموعد تناسب بناهة شان نظم جمال
القران وجلالة قدر فصاحته وخبرها الصبح **والصبح** في

اللغة هو الفجر والفجر هو النور الظاهر من الافق في جهة
المشرق فقد ظهر من هذا ان اطلاق الفجر والوقت على
النور المذكور جايز ويطلق الوقت والزمان على معان اخر
قد فصلت في موضعها **ثم الفجر اما كاذب واما صادق**
لان ذلك النور ان كان مستدقا مستطيلا يسمى صبحا كاذبا
وفجرا كاذبا وان كان مستطيرا منتشرا في الافق بالغا الى
وسط السماء يسمى صبحا صادقا وفجرا صادقا **وذكر**
في كتب علم الهيئة ان النور الظاهر في الافق الشرقي
يسمى بالصبح الاول لانه اول نور يظهر وبذنب السرحان
تشبيها له به ويسمى بالصبح الكاذب لكون الافق مظلما
بعد اي لو كان يصدق انه نور الشمس لكان المنير مما
يقرب من الشمس لا ما يبعد منها فقس على هذا اعتبار حال
الصبح الصادق **فان قلت** لا شك ان القريب
ههنا مطلق على ما تسمع وان اجرا المطلق على اطلاقه مغن
عن ارتكاب خلاف الظاهر والتاويل وقد قال النبي

صلى الله عليه وسلم ابهموا ما ابهمه الله واتبعوا ما بيّن الله لكن اذا
قيد ههنا بامر من الامور فباى امر يقيد ههنا **قلت**
الله اعلم بحقيقة الحال فى ذلك لكن يجوز ان يأول ههنا بقرب
الصبح من حصوله وظهوره وطلوعه ومجيئه ونحو ذلك
بدلالة المقال وشهادة الحال وكل آتٍ قريب ولا يجوز
تاويله فى هذا المقام بقربه من الهلاك والعذاب احترازا
عن لزوم التناقض وذلك ان الصبح ههنا قد وقع وقتا
وظرفا له فيكون معه متصلا به فلا يكون منفصلا عنه فاذا
لا يكون قريبا منه فلو اوّل بقربه منه لكان قريبا منه وما
كان قريبا منه لكن اللازم باطل قطعا ويقينا فكذا الملزوم
واما بيان الملازمة فقد علم مما ذكرنا فاذا هو على طرف
التمام بتوفيق الله عز وجل والمبتداء والخبر مع النسبة
بينهما جملة اسمية تؤكد مضمونها بانّ على منوال ما ذكرنا
طبق النعل بالنعل فلا حاجة ههنا الى الاعادة المجردة عن الافادة
وهى استينافيه ايضا وذلك ان الملائكة قالوا للوط عليه السلم

انا رسل ربك مهلكوا هذه القرية واهلها وهى قرية سدوم ٥
فقال متى موعد هلاكهم فاجيب على طريقة الاستيناف
فقيل ان موعدهم الصبح وحرف الاستفهام فى قوله تعالى
اليس الصبح بقريب يفيد الانكار والتقرير ههنا بشهادة
نحوى الكلام مع معونة الحال والمقام ٥
فان قلت فهل هذا القول اقامة المظهر مقام
المضمر لقصد التقرير مع دفع توهم الاشتباه ابتداء وليكون
الكلام فى دلالته على المرام مثل فلق الصبح عند الانام
قلت نعم وليس فعل من الافعال الناقصة
اسمه الصبح خبره بقريب والباء فيه لتاكيد انكار النفى ٥
وحاصله فى التحقيق الى تاكيد تحقق القرب بشهادة المرام
والمقام مع القطع بان لا واسطة بين النفى والاثبات فيلزم
من ارتفاع احدهما عين الآخر كثبوت احد النقيضين عند
ارتفاع الآخر على سبيل الانفصال الحقيقى كقولك
العدد اما زوج واما فرد ففى تاكيد تحقق القرب بهذه الطريقة

البليغة الجليلة الواردة على اسلوب الحكيم وارخا العنان
حسن مكالمة وملاطفة وفاية جليلة لا تكاد توجد في
تاكيد القرب بان يدونها خوان موعدهم قريب ومثل هذه
يناسب كمال بلاغة نظم القرآن وفيها فوايد اخر ليست تحت
دايرة البيان والاحصاء ۝ فسبحان من احصى كل شيء
عددا واحاط بكل شيء علما سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا
انك انت العليم الحكيم **روى** ان لوطا عليه السلم
خرج با بنتيه ولم يتبعه منهم رجل واحد وقيل امراته ما
خرجت معهم وقيل خرجت معهم فلما سمعت بهدة العذاب
التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها ۝
وروى ايضا ان لوطا عليه السلام خرج با بنتيه ليس معه
غيرهما عند طلوع الفجر وطوى الله تعالى له الارض في وقته
حتى نجا ووصل الى ابرهيم عليه السلام وجعل جبرايل جناحه
في اسفل المداين ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح
الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة

من فوقهم وهي المؤتفكات **وهي سبع مداين** ۝
وقيل خمس وسدوم هي القرية العظمى **وقيل** انهم
كانوا اربعماية الف نسمة ۝ وقيل اربعة آلاف
نسمة ۝ فالمرجو من اهل الخير والاحسان ان ينظروا فيما
ذكر وفي امثاله بعين الرضا والانصاف لا بعين السخط
والاعتساف فمن وجد منهم من طغيان القلم ومن زلات
القدم فليعف عنه وليقل ان الجواد قد يكبو وان الصارم
قد ينبو وان لكل حكيم هفوة وان البشر قلما يخلو عن الخطا
والزلة **ومنه قول من قال**

من ذا الذي ما ساء قط ۝ ومن له الحسنى فقط ۝
محمد الهادي الذي ۝ عليه جبريل هبط ۝

وكذا قول من قال ۝

ومن ذا الذي يرضى سجاياه كلها ۝ كفى المرء نبلا ان تعد معايبه ۝

قال الله تعالى ان الحسنات يذهبن السيات

المقصد الثالث

من المقاصد الثلاثة في بيان اختلاف القراء السبعة في قراءة
المستثنى في قول الله تعالى الا امرأتك وفي بيان اختلاف
المفسرين في صرف المستثنى ههنا الى ما قبله هل يصرف الى
الكلام الموجب والى الكلام الغير الموجب على سبيل التوزيع
ام يصرف الى الكلام الغير الموجب وحده خاصة وفي هذا
المقصد ثلثة امور **الاول** ان القراء السبعة
هم نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وعاصم
وحمزة والكسائي رحمهم الله قرا ابن كثير وابو عمرو
برفع المستثنى في قوله تعالى الا امرأتك ومن عداهما
قروا بنصبه فيه وكل واحدة من القرائتين ههنا متواترة
بالاجماع فمن قال يجوز ان يكون احدى القرائتين ههنا
غير متواترة فقد خالف الاجماع وقد ضل ضلالا مبينا
وسيجيء زيادة تفصيل وتحرير لهذا فيما بعد ان شاء الله تعالى
الامر الثاني ان بعض المفسرين كصاحب
الكشاف صرف المستثنى الى ما قبله على سبيل التوزيع

فصرفه اذا كان منصوبا الى قوله تعالى فاسر باهلك فيكون المستثنى
منه هو الاهل كما صرفه اذا كان مرفوعا الى قوله تعالى ولا
يلتفت منكم احد فيكون المستثنى منه حينئذ هو الاحد وذلك
ليكون كل واحدة من القرائتين على الوجه الافصح والاحسن
على ما هو المناسب لكمال فصاحة نظم القرآن ولغاية بلاغته
ونهاية اعجازه ومثل هذا في حق نباهة شان نظم القران واجب
ولايق له حسب ما امكن فقد امكن ههنا فصرفناه الى ذلك
وبيان ذلك ان النصب في الموجب في مثل هذا الموضع واجب
على ما حرر في موضعه وان الرفع في الكلام الغير الموجب
هو المختار والنصب فيه غير مختار على ما بين في موضعه ايضا
فالقول بغير المختار مع الغنى عنه لا يقبل في مثل هذا المقام
لا يخفى ذلك على الفطن المنصف العارف بحدود انواع النظم
والكلام مع وجوهها **واما قوله تعالى**
ما فعلوه الا قليل بالرفع والنصب فليس من قبيل ما نحن
بصدده الآن لان النصب لا يجوز صرفه الا الى هذا الكلام

بعينه وليس ههنا كلام آخر يصلح لان يصرف النصب اليه على
ما تسمع وترى ومعلوم عندك ان ما ثبت بالضرورة يتقدر
بقدر الضرورة وان الميسور لا يسقط بالمعسور وتعرف ايضا
ان ما ثبت على خلاف القياس فغيره عليه لا يقاس ونظير
ذلك ان النص اذا كان مختص العلة بالمورد او غير المعقول
لا يجوز القياس عليه وهذا توجيه قوله ههنا حسب ما
امكن **وقال صاحب الكشاف**
في تفسير هذه الآية واختلاف القرائتين لاختلاف الروايتين
اما بيان القرائتين ههنا فقد حصل مما ذكرنا واما بيان
الروايتين فلما روى انه اخرجها معهم وامران لا يلتفت
منهم احد الا هي فهذه الرواية هي سبب المستثنى ههنا
بالرفع فيكون المستثنى منه حينئذ هو الاحد المذكور
في الكلام الغير الموجب اي قوله تعالى ولا يلتفت منكم احد ولما
روى انه امر ان تخلفها مع قومها فهذه القراة هي سبب قراة
النصب ههنا فيكون المستثنى منه ههنا حينئذ هو الاهل

المذكور

المذكور في الكلام الموجب اعني قوله تعالى فاسر باهلك بقطع
من الليل **فان قلت** فهل يمكن التوفيق بين قوله
روى انه اخرجها معهم وامران لا يلتفت منهم احد الا هي وبين
قوله روى انه امر بان تخلفها مع قومها فكيف يصدر عنه الاخرا ج
مع الامر بالتخليف **قلت** يمكن ولا استبعاد ههنا
وذلك بان نقول اولا يأول الاخراج ههنا بالتمكين منه
بان لا يمنعها من السرى معه بالليل ويؤيد هذا التأويل في
الجملة ما روى انها خرجت بنفسها معه وبان نقول
ثانيا يحمل الامر على الندب في قوله روى انه امر بان تخلفها
مع قومها لكن لا يلزم من هذا ان يكون الامر في قوله
الله تعالى فاسر باهلك بقطع من الليل محمولا على الندب ايضا
لعدم ثبوت التلازم بينهما عقلا مع احتمال ان يكون
الراوي يروي ما بلغه من الامر ويراه باجتهاده امر ندب
ولا يخفى عليك ان مثل هذا الاحتمال كاف في منع اللزوم
بينهما وان كان احتمالا بعيدا **فان قلت**

كيف يصح معنى أُمر اى لوط او أُمران لا يلتفت منهم احد الا هي
مع ان تكليف شخص بفعل غيره محال **قلت**
أُجيب عنه بان النهي لفظا لاحدٍ ومعنى للوط اى لا يمكّن احدٌ
من الالتفات وهذا يشير بان الخطاب مع لوط عليه السّلام
في قوله تعالى وَلَا يلتفتْ منكم احدٌ فيكون على سبيل الاقتضآء
وفحوى الكلام لا يكون على سبيل التناول بحسب الظاهر
على ما ذكرنا في تفسير هذا القول **فان قلت**
فما معنى الامر في النهي الذي في قوله تعالى وَلَا يلتفت منكم
احدٌ مع ان بينهما تدافعا ظاهرا بادى الراى **قلت**
هذا الامر قد حصل ههنا باقتضآء هذا النّهي اياه في هذا
المقام **فان قلت** فما المامور به حينئذٍ ٥
قلت هو الكف عن الالتفات وهو المطلب
الاعلى والمقصد الاقصى ههنا لا عدم الالتفات من حيث هو
عدم فانه بعيد من المقصد والغرض بمراحل لا يخفى على المتامل
في ذلك فكانه قيل ليكف كل احدٍ نفسه عن الالتفات الى

الورآء قال الله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس
عن الهوى فان الجنة هي الماوى هذا وجوز الزمخشري على ما
صرح به في الكشاف في تفسير هذه الآية ان صرف المستثنى في
قراءة الرفع والنصب الى قوله تعالى وَلَا يلتفت منكم احدٌ الا امراتك
وحده خاصّة كما اوجب غيره من المفسرين صرفه اليه حتما فيجوز
عند صاحب الكشاف الامران لكن الراجح هو صرفه الى كلا
القولين على سبيل التوزيع على ما عرفت وهو المختار عنده والمرجوح
هو صرفه الى قوله تعالى وَلَا يلتفت منكم احدٌ الا امراتك
وحده ووجه المرجوحية يعلم من التامل فيما ذكر في مطلع
الامر الثاني فيكون هذا غير مختار عنده **وامّا** المختار عند
غيره من المفسرين فانما هو صرفه الى قوله تعالى وَلَا يلتفت
منكم احدٌ الا امراتك وحده خاصة على سبيل الحتم والتخصيص
حسب ما ظهر عنده واما صرفه اليهما على سبيل التوزيع على
الوجه الذي عرفته فهو ليس بمقبول عند غيره للزوم المحذور
له على ما سيجيء بيانه كما ينبغي في اثنآء تحرير مباحث

الى ما بعد الاستثناء فى الكلامين لا بالنظر الى ما قبله من
الامر والنهى **فان قلت** فهل يفهم بالفعل ههنا ان
القضيتان ههنا بادى الراى **قلت** لا لكن
هذا لا يخل بتقرير المرام من الكلام فى هذا المقام ٥
فان قلت قد ثبت عند المحققين من العلماء ان
الانشاء لا يدل على الزمان وكل واحد من الامر والنهى
انشاء قد دل على الزمان المستقبل فما وجه التوفيق بينهما
قلت الوجه ان الانشاء فى الاحكام
وكل واحد من الامر والنهى لا يدل على زمان الحكم عند
دلالته على الحكم فيكون الزمان مقترنا بالحكم غير مدلول
عليه ولهذا يدل على ذلك قولهم الانشاء هو ايقاع معنى
بلفظ يقارنه فى الوجود واما الدال فى ذلك على
الزمان المستقبل فانما هو اللفظ الدال على الفعل المامور به
والفعل المنهى عنه دلالة تضمنية ويدل على الكل
دلالة مطابقية فحصل وجه التوفيق بينهما كما ترى ٥

والحمد لله

والحمد لله على حسن توفيقه **الوجه الثانى**
من وجوه الجواب ان الاستثناء مطلقا انما هو تصرف فى الالفاظ
لا فى الاحكام على ما بين فى موضعه فكيف لا وان حرف
الاستثناء انما يدل على الاخراج فقط بدون الدلالة
على ما عداه اصلا لا بالحقيقة ولا بالمجاز ولا بغيرهما
لو امكن وان المستثنى مفرد فلا يكون مركبا لثبوت التنافى
بينهما فضلا ان يكون مركبا تاما فلا يكون مظنة لحكم
من الاحكام فانى يتصور فيه القضايا والاحكام ٥
وان العقل لا يدرك بنفسه ههنا على حكم بعينه لانتفاء جهة
الدلالة والعلاقة العقلية ومصداق ذلك قوله
الله تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ اذ لا يجوز
اذن الشرع بالقتل بالخطاء لان جهة الحرمة ثابتة على ترك
التروى ولهذا يجب فيه الكفارة ولو كان مباحا محضا
لما وجبت فيه الكفارة ومعلوم ان الاصل فى الاستثناء
هو الاتصال فلا يعدل عنه ولاجل هذا لا يحسن جعل

الاستثناء ههنا استثناء منقطعا على قراءة الرفع ويؤيد
ايضا ما ادعيناه قول من قال الاستثناء هو التكلم
بالباقي بعد الثنيا فاذا تقرر ما ذكر قد تم المرام في
هذا المقام وهو منع لزوم التناقض على مختاره ههنا
فان قلت لا يعتبر بهذا الجواب اصلا
اذ هو جدلي صرف وما هو الا فقعقعة كسراب بقيعة يحسبه
الظمان ماء قلت ليس الامر كذلك
بل هو جواب جدلي لالزام الخصم معتبر مفيد في مقام
المناظرة مع الخصم لحصل التقريب ههنا بلا مرية ولا
فرية على ما ترى قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك
بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ٥
ومن هذا قول من قال
وفي الشر نجاة حين لا ينجيك احسان ٥
وكذا قول من قال
عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه
لم

فان قلت فلعل الخصم يكون له دليل آخر على ما ادعاه
قلت ان عاد اليه عدنا عليه بالمنع والابطال
ايضا والحاصل ان النافي والمانع مستظهر ههنا على المدعي والخصم
في اي مسلك سلك من المسالك فان قلت يلزمه
التناقض المذكور على مختاره لتواتر كل واحدة من القرائتين
ههنا مع استناد كل واحدة منهما الى الرواية غير الرواية
التي استندت اليها الاخرى على ما تقرر والزمخشري
معترف بذلك حيث قال واختلاف القرائتين لاختلاف
الروايتين وقد دلت كل واحدة من الروايتين على فعل يضاد
الفعل الذي دلت عليه الاخرى كالاسراء بها وتخليفها مع
قومها قلت لا يلزمه ذلك اما اولا فاقول
ان امكن الجمع بينهما فلا تناقض ههنا اصلا واما ثانيا فلما تقرر
في موضعه ان لا تعارض بين الافعال واما ثالثا فاقول
لو وقع التعارض بينهما حصل التوقف فيهما لعدم ظهور رجحان
احديهما على الاخرى فاذا لا تصلح واحدة منهما لان تكون معمولا

عليهما ههنا اصلا فكيف يصلح له مع ان احديهما ليست بواقعة
على ذلك التقدير وان لم يكن لنا سبيل الى العلم بعينها والقريب
من هذا الجواب هو الجواب عن الناقض المتوهم في الاستثناء
المتصل في نحو قولك علي عشرة الا ثلثة على ما حرر وفصل
في محله **فان قلت** كيف يقبل منك هذا الجواب
وقد تقرر في الاصول ان الاستثناء من الاثبات نفي وكذا
الاستثناء من النفي اثبات ايضا على المختار والعرف والاستعمال
يشهدان بذلك شهادة مقبولة **قلت**
الذي ذكرته لا ينافي ما ذكرناه من ان الاستثناء لا يعتبر
فيه الدلالة على حكم من الاحكام من حيث النظر اليه
لكن لا يلزم منه ان لا يدل عليه دليل وان لا يثبت الحكم في
الاستثناء بوجه من الوجوه الاخر اصلا لما عرفت ان انتفاء
الدليل الخاص لا يستلزم انتفاء مطلق الدليل كما ان
انتفاء الانسان لا يستلزم انتفاء مطلق الحيوان ولا
ينافي ايضا الغرض ههنا فان المراد في مقام المناظرة منع

الخصم

الخصم هو منع مقدمة من مقدمات دليله وقد حصل في صورة
من الصور بوجه من الوجوه ولو على الوجه المحتمل المرجوح ٥
فان قلت منعك ههنا لا يعتبر ولا يفيد عند
اهل المناظرة والاستدلال لانك قد سلمت جميع مقدمات
دليل الخصم ولم تنقضه ولم تعارضه ايضا فاذا يكون هذا
الجواب كله كلاما فيما وراء مقتضى المناظرة خارجا عن
قانون التوجيه فلا يكون مقبولا عندهم **قلت**
ليس الامر كما قلت وما سلمت ذلك فكيف وان هذا
الجواب قد هجم مع جنده على عين الصغرى واخذ بهدم قصرها
واساسها وبناها وتخريب بلادها وتذرها قاعا صفصفا
لا ترى فيها عوجا ولا امتا **فان قلت** فلم اطنبت
في هذا الجواب غاية الاطناب مع ان خير الكلام ما قل
ودل على المرام **قلت** لاقتضاء هذا المقام
زيادة بسط الكلام اذ زلت فيه اقدام اذهان الاقوام ولقصد
الترغيب في التمرين في افراغ المعاني في قوالب انواع على وجوه

شتى ولكون الكلام ذا نفيان مع كون المعنى اجماعيا ن ه
وتعلم انت ان الكلام تارة يختصر ليحفظ ويحكم واخرى
يبسط ليكثر العلم مثل البحر الاعظم ومن على الذرى حكم على
الحضيض والاكم ومنه قول من قال

بقدر الكد تكتسب المعالي ۰ ومن طلب العلى سهر الليالي ۰
يغوص البحر من طلب اللآلي ۰ ه

الوجه الثالث منها ان قول المعترض
لزم التناقض بين القواطع مما ذهب اليه ههنا الزمخشري
ممنوع لما تقرر في موضعه ان القطعية في حق اللفظ والنظم
لا يستلزم القطعية في حق المعنى وفي خواص تراكيب
الكلام لعدم تحقق العلاقة القطعية بينهما فيحتمل كل
واحد من اللفظ والمعنى ان يكون قطعيا كما يحتمل ان يكون
ظنيا وبالعكس فظهر ههنا احتمالات اربع فاذا تقرر هذا
فاقول لا شك ان كل واحد من القراءتين في
قوله تعالى الا امانيهم متواترة وقد انعقد عليه الاجماع

لكن

لكن لا يلزم من تواتر كل واحد منهما في حق المتن والنظم تواتر
كل واحد منهما في حق المعنى وفي مستتبعات معنى الكلام
ايضا ومعلوم عندك ان التناقض بين الاقوال لو وقع فانما
يرجع الى معاني الاقوال لا يرجع الى مجرد الالفاظ والاقوال
فلو كانت كل واحدة منهما متواترة قطعية ومحكمة في حق
المعاني والمستتبعات ههنا ايضا لما وقع الخلاف عند المفسرين
في صرف الاستثناء الى ما قبله هل هو مصروف الى ما قبله على
سبيل التوزيع ام على سبيل التخصيص على ما مر تفصيله في
عنوان مباحث الامر الاول كما لا يقع الاختلاف عند احد
في معنى قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير والله بكل شيء
عليم ولما اولوا الاسراء في قوله تعالى فاسر باهلك بقطع من
الليل بالاسرا الذي لا التفات فيه على ما مر بيانه في تقرير
الوجه الاول من وجوه الجواب لان المحكم يسد باب التاويل
بالكلية كما يسد باب التخصيص والتفسير والنسخ ايضا على
ما حرر في اصول الفقه ويؤيد ما ذكر ههنا قول

المحققين من اهل الاصول قد خص قوله تعالى يوصيكم
الله في اولادكم بقوله النبي صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبيا
لا نورث **فان قلت** قال العلماء التواتر في نقل القرآن
الينا وفي تفاصيله شرط بالاتفاق وكذا التواتر في محله
وفي وضعه وفي ترتيبه شرط على المختار وقالوا التواتر في الهيئة
كالمد والامالة والتخفيف ونحوها ليس بشرط فكيف يقال
ههنا كل واحدة من القرائين في قوله تعالى الا امرأتك متواترة
قلت لا استبعاد ههنا فان عدم اعتبار امر
من الامور ليس عين اعتبار عدم ذلك الامر ولا يستلزمه
لعدم العلاقة بينهما فاذا لا يلزم من عدم اعتبار التواتر في
الهيئة اعتبار عدم التواتر فيها فيجوز ان يقع التواتر فيها ايضا
كما وقع في كل واحدة من القرائين ههنا وقد انعقد عليه
الاجماع وقد ظهر من هذا ان احدا لو قال بعدم
تواتر قراءة من القرائين ههنا قد خالف الاجماع فلا يلتفت
اليه شرعا اصلا بل عليه ما يستحقه من النكال حسب

ما يراه الحاكم الشرعي **فان قلت** فقد وقعت فيما
هربت عنه من حيث لا تشعر **قلت** لا يتوجه
علينا ههنا القول بالوقوع في المهروب عنه اصلا لان كون
النظم والكلام غير قطعي الدلالة على معناه ومستتبعاته
لا يتوقف علم ذلك على القول بتواتره ولا على القول بعدم
تواتره اصلا لقيام الفرق الجلي بين القول بالجواز
وبين القول بتحقق عدم التواتر في الجملة كما زعم هذا القايل
ومعلوم ان منع لزوم التناقض بين القواطع يحصل بجواز
طرق الاحتمال عليها بوجه من الوجوه فيكون
سندا له ومعلوم ان المنع يتم بدون ذكر السند ايضا
لما تقرر في موضعه ان السند انما هو من مقويات
المنع لا من مقوماته ولاجل هذا ترى النظار يقولون
المنع اما منع مجرد واما منع مع سند ومشهور عندك
ان الباحث لا مذهب له اي لا يجب عليه رعاية مذهبه في
مقتضى المناظرة بل يجب عليه رعاية موجب المحاورة والمناظرة

فى مقام المناظرة حيثما كانت اعطا لكل مقام حقه وهو
الواجب عليه فى هذا المقام ليس الا فاذا لا نقول به
سدا لباب الشبه والريب عن اثرها قال الله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقال النبى صلى الله
عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال
على كرم الله وجهه اياك وما يقع عند الناس اعتذاره
فيكون البعد عنه من السلامة اقرب فحاصل تقرير وجوه
الاجوبة ههنا يرجع الى منع الصغرى اذا قرر الاعتراض على
مختار الزمخشرى ههنا بصورة القياس الاقترانى واما اذا
قرر الاعتراض عليه ههنا بصورة القياس الاستثنائى فيجاب
عنه بمنع الملازمة فى المقدمة الشرطية على الوجوه المذكورة
فاذا تقرير الاعتراض عليه بصورة القياس الاستثنائى وتقرير
الاجوبة كلاهما حاصلان على طرف الثمام بادنى فكر ونظر
فيما سبق فتوكل عليه والله الموفق قال
الله تعالى فاعتبروا يا اولى الالباب ومنها ان شدة ذلك

انكاره وان كان عندك مح

متلزم

الابصار

فيلزم

30

ففيك الكفاية للاعتبار وفيك الفكر هو المظهر ه

الامر الثالث

منها ان بعض المفسرين
كالبيضاوى صرف قراءة الرفع والنصب الى قول الله تعالى
ولا يلتفت منكم احد الا امراتك خاصة حملا له على الظاهر منه
ابتداء واحترازا عن لزوم التناقض بين القواطع لكن قد عرفت
مما مر ان لزومه ممنوع من وجوه شتى فان قلت
فاى المسلكين ارجح ههنا قلت لكل واحد من
المسلكين جهة رجحان على الآخر فاختر منهما ما هو الاولى
والاجلى عندك وللناس فيما يعشقون مذاهب ه
فان قلت فايهما المختار عندك ه
قلت المختار عندى هو ما ذهب اليه
الزمخشرى لكونه اقوى وادق فيكون قوله ههنا كالاستحسان
كما ان قول البيضاوى ههنا كالقياس والاستحسان
مقدم على القياس فى مقام التعارض فيكون قوله مقدما
على قوله ايضا ويدل على ذلك ان الزمخشرى

لعوة تائيده

جوز ههنا صرف الاستثناء الى قوله تعالى ولا يلتفت منكم
احد الا امرأتك خاصة ورجح صرفه الى قوله تعالى فاسر
باهلك بقطع من الليل الا امرأتك على سبيل التوزيع على
ما مر تقريره فيما سبق **فان قلت** فهل ظهر
مما ذكر ان قول البيضاوي في تفسير هذه الآية
ولا يجوز حمل القرائتين على الروايتين الى آخره قاصدا به الرد
على الزمخشري في مختاره ههنا يكون محل البحث والنظر ٥
قلت نعم لانه قد ظهر ظهورا تاما من تقريره
الاجوبة ان حمل القرائتين على الروايتين جايز بل هو مختار ههنا
عند الانصاف مع التامل فيه حق التامل **فان قلت**
فما الجواب عن التناقض الذي يرى بين قوله هذا وبين قوله
بعيد هذا في تفسير هذه الآية ايضا والاولى جعل
الاستثناء في القرائتين عن لا يلتفت مثله قوله تعالى ما فعلوه
الا قليل وذلك انه يفهم من قوله الثاني جواز حمل
القرائتين على الروايتين ظاهرا حيث قال والاولى

جعل الاستثناء في القرائتين عن لا يلتفت ولم يقل والصواب
جعل الاستثناء في القرائتين عن قوله تعالى ولا يلتفت منكم
احد فكانه قال ههنا لا يجوز حمل القرائتين على الروايتين
ويجوز حمل القرائتين على الروايتين ولا شك انه تناقض على
ما ترى **قلت** الجواب عنه ان قوله والاولى
محمول على معنى الصواب بقرينة المقال والحال ومثل
هذا كثير في الكلام دفعا للتناقض المتوهم بين قوليه
وحملا لكلامه على الاستقامة والصلاح واحترازا
عن الغايه وتوفيقا بين كلاميه حسب ما امكن ٥
فان قلت فاذا لم عبر عن معنى الصواب بالاولى
ههنا **قلت** لقصد السلوك بطريقة الانصاف
والخضوع والادب على ما هو داب اهل الانصاف وسيرة
الصالحين ولدفع توهم التبجح والمفاخرة عن نفسه ولكون
المقام ههنا مقام الاجتهاد ومعلوم ان الحاصل بالاجتهاد
هو الظن لا القطع واليقين مع ان في ذلك التعبير ايماء

الى الاحتراز عن دعوى اليقين بلا حجة دالة عليها فيحصل له
بذلك التعبير ايضا الاحتراز عن القول على سبيل الاثبات
والتخمين والرجم بالغيب **فان قلت**
فهل يمكن ان يجاب عنه بوجه آخر **قلت**
نعم وذلك بان نقول المراد من سلب الجواز الذي في
قوله ولا يجوز حمل القرائتين على الروايتين هو سلب الجواز
المعتبر فيما اختاره الزمخشري بدلالة معنى الكلام ومعونة
المقام مع النظر في السباق والسياق لا سلب مطلق الجواز
على سبيل العموم في اية صورة كانت ٥

المقصد الثالث من الباب

الثاني في ذكر تاريخ مشتمل على امور نافعة للناس ٥
ومنوط بما ذكر **فاقول** التاريخ من المهمات
العظام مقبول عند كرام الانام مشتمل على فكر وعبر ٥
ومنطو على مصالح ومحاسن على وجه معتبر ٥ ولو لا
التاريخ لم يتصل الينا لا خبر ولا اثر وهو غذا الارواح

والاشباح • وهو خزانة اخبار الناس والرجال • وهو معدن
العجايب والغرايب والروايات والامثال ٥ والتاريخ
زينة الاديب • وعمدة اللبيب • وعون المحدث
وذخر الاديب ٥ والتاريخ معاد معنوي يعيد الاعصار
وقد سلفت وينشر اهلها وقد ذهبت آثارهم وعفت
ويستفيد به عقول التجارب من كان غرا ويلقى آدم
ومن بعده من الامم وهلم جرا ٥
ومن ذلك القبيل قول من قال •
ولا شيء يدوم فكن حديثا • جميل الذكر فالدنيا حديث
ولقد اشار المتنبي الى مثل ذلك بقوله
واذا الفتى لاقى الحمام وجدته • لولا الثناء كانه لم يخلق
وقريب من ذلك قول من قال
وما من كاتب الا سيفنى • ويبقى الدهر ما كتبت يداه •
فلا تكتب بخطك غير شيء • يسرك في القيامة ان تراه •
والتاريخ يحتاج اليه الملك والوزير والقايد

وغيرهم **واما** الملك فيعتبر بما مضى من الدول ومن سلف
من الامم **واما** الوزير فيعتبر بفعال من تقدم ممن حاز
فضيلتي السيف والقلم **واما** قايد الجيوش فيطلع
منه على مكايد الحرب ومواقف الطعن والضرب ٥
واما غيرهم فيستمتعون به على سبيل الحكاية والمسامرة
فيحصل لهم به المبادرة الى انواع الخيرات والاجتناب
عن المنكرات **فان قلت** فكم من تاريخ مجهول
الحال يضر بالناس غالبا فيفضيهم الى المجازفة في الكلام
فيعود نفعه ضرا فينبغي ان يترك مثله احترازا عن الوقوع
في حدود المضار والمفاسد قال الله تعالى
يا أيها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقال النبي صلى
الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كذب النسابون والمورخون
قلت لا استبعاد ههنا اذ يوخذ منه ما ينفع
ويحترز عما يضر وذلك معلوم من الشرع ومن

العقل والحس واما ما كان منه مجهول الحال بالكلية فيكون
موقوفا كسائر المجهولات لا نحكم في ذلك لا بالنفي ولا بالاثبات
ولا شك ان التاريخ يفيد الاعتبار والاتعاظ والظن كاف
في ذلك ولقد اشار الشاعر الى نحو ذلك بقوله ٥

وكل انسان سوى ما استدركوا يوخذ من كلامه ويترك ٥

ولا شك ان المورخ يجب ان ينبه على ضعف ما نقله وحكاه
كما في رواية الاحاديث الضعيفة في ~~رواية~~ فضايل
الاعمال وفي فضايل السور على ما حرر وفصل في موضعه ٥
والحاصل انه مشروع لقوله الله تعالى لقد كان في
قصصهم عبرة لاولي الالباب ولقوله الله تعالى فاقصص
القصص لعلهم يتفكرون ولقوله النبي صلى الله عليه
وسلم بلغوا عني ولو اية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج
ولانعقاد الاجماع عليه ويويد ما ذكرناه ان اهل الحديث قالوا
المراد من التحديث هو التحديث في القصص والحكايات
لان في ذلك عبرة وعظة لاولي الالباب ٥

العقل

واما النهى الوارد عن كتبة التورية والانجيل ففيما عدا
القصص والاخبار فحصل الجمع والتوفيق بينهما كما تسمع وترى
ورايت فى الكتب ان هبوط آدم من الجنة اذ كان
قلب الاسد فى الجوزاء والنسر الطاير فى العقرب
والعيوق فى اوايل الحمل **فان قلت** فكم مدة قطع
الثوابت الدورة **قلت** ستة وثلاثون الف
سنة على راى الاقدمين من الحكماء ووجدت فى
كتب التواريخ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
خلق الله تعالى الدنيا على سبعة آماد والامد الدهر الطويل
الذى لا يحصيه الا الله عز وجل فمضى من الدنيا قبل آدم ستة
آماد ومنذ خلق آدم الى ان تقوم الساعة امد واحد ٥
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا
سبعة الآف سنه انا فى آخرها لا نبى بعدى ولا امة بعد
امتى **وقال** بعض العلماء عند شرح قول
النبى صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم

خلق الله السموات والارض السنة اثنى عشر شهرا قد ظهر
النوع الانسانى فى اول دور السنبلة ومدته سبعة الآف
سنة ونبينا بعث فى الالف الاخير من السبعة فى الاجزا
البرزخية الجامعة بين احكام دور السنبلة ودور
الميزان المختص بالآخرة فزمان البعثة بالنسبة الى زمان
قيام الساعة كزمان الفجر الصادق بالنسبة الى زمان
طلوع الشمس ولقد اشار اليه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله
بعثت انا والساعة كهاتين وقد اتفق اهل الملل الاربع
يعنى المسلمين والنصارى واليهود والصابئين ان عمر الدنيا
سبعة الآف سنة **وقال** ابن كنة الهندى
ان الوف اعمار الدنيا على عدد الكواكب السبعة وقيل
الالف الاول لزحل والثانى للمشترى والثالث للمريخ
والرابع للشمس والخامس للزهرة والسادس لعطارد ٥
والالف للقمر وذلك كله انما هو بتقدير الله عز وجل
وارادته وامره **فان قلت** اذا ضبط مدة نوع

الانسان هكذا وامعن النظر في معنى هذا الحديث وامعن
ايضا في معنى القول المنقول عن علي كرم الله وجهه
في تفسير قول الله عز وجل ولبثوا في كهفهم ثلث
ماية سنين وازدادوا تسعا مع ضبط تفاوت العدد بين
السنة الشمسية وبين السنة القمرية فهل يمكن التوصل
بذلك الى معرفة احصاء مدة ما بقي من الزمان من مدة
نوع الانسان قلت نعم يمكن اذا لكن بالتامل
الصادق وبالحساب المعتبر عند الحيسوب وذكر
في كتب التواريخ ان من آدم صلوات الله عليه الى نوح
عليه السلام الفين وماتين وثلثين سنة ومن نوح الى ابرهيم
عليهما السلام الفا وماية واثنين واربعين سنه ومن ابرهيم
الى موسى عليهما السلام خمسماية وخمسين سنة ومن موسى الى داود
عليهما السلام خمسماية وسبع واربعين سنة ومن داود الى عيسى صلوات
الله عليهما الفا وثلثين سنة ومن عيسى الى نبينا صلوات الله
وسلامه عليهما ستماية وستا وعشرين سنة فجملة ذلك من آدم الى

نبينا محمد صلوات الله عليهما ستة آلاف عام وماية وخمسة وعشرون
عاما وفيه روايات اخر والله سبحانه وتعالى اعلم بحقيقة الحال
وذكر في مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي بعض ذلك
على خلاف ما نقلنا هذا وان الملايكة الذين بعثهم الله تعالى
الى لوط عليه السلام لينصروه على قومه جبرايل وميكايل واسرافيل
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال جبرايل
كم مضى له من العمر فقال لا ادري غير ان كوكبا يطلع من
افق العرش في كل سبعين الف سنة مرة واني رايته سبع مرات
وفيه روايات اخر ووجدت في كتاب النكات في المسايل
المشكلات ان جبرايل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم في وقت لم يكن ياتيه في ذلك الوقت فساله النبي صلى
الله عليه وسلم عن ذلك فقال جبرايل عليه السلام كنت
انا وميكايل في البيت المعمور قلت له لم سميت ميكايل فقال
لي خلقني الله عز وجل وامرني بان ازن السموات والارض وما بينهما
فوزنتهما فما عييت في شيء منهما الا في ثواب من ادخل سرورا

في قلب مومن ولو كانوا ماية منا ما قدروا على احصاء ثوابه
فلما سمعت منه ذلك جيت اليك لاخبرك وابشرك بذلك
وإن لوط بن هاذن بن تارخ وهو ازر وابرهيم وهاذن اخوان
ولوطا عليه السلام هاجر مع عمه ابرهيم مومنا به متبعا له على
دينه الى الشام ومعهما سارة بعثه الله عز وجل الى سدوم
وكانوا اهل كفر بالله وركوب فاحشة قال
الله تعالى وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا
عجوزا في الغابرين ورايت في الكتاب الموضوع
لمعرفة خواص الحروف والاعداد والاشكال ان الضحاك
لما طغى في البلاد وبغى على العباد اتفقت اساطين الحكماء في
ذلك العصر ووضعوا الافريدون مربع ماية في ماية من الطلس
اصفر قد نسج رقوم اعدادها بالذهب في طوالع فلكية باسرار
روحانية وكان طولها اثني عشر ذراعا في عرض ثمانية اذرع
وقيل كان ذلك في شرف المشتري وقال جماعة
من الحكماء كان ذلك في حلول الشمس في اول نقطة من الحمل الى

تسع عشرة درجة منه وبها قهر الضحاك الذي ملك الف سنة
وكانت الفرس تتبرك بتلك الراية واتخذتها ذخيرة
بعده يفزعون اليها في شدايدهم ودامت بين اظهرهم من
مولد ابرهيم عليه السلام الى سنة خمس عشرة من الهجرة
يتوارثها ملك بعد ملك وجيل بعد جيل وكان كل ملك
منهم اذا وصلت الراية اليه زاد في ترصيع فوايد درها
وتدبيج فوايد غررها الى زمان يزدجرد بن شهريار الذي ينسب
اليه التاريخ اليزدجردي وهو آخر ملك الفرس وهو قتل في
خلافة عثمان رضي الله عنه سنة احدى وثلثين سنة من
الهجرة وفي وقعة القادسية سنة خمس عشرة وصلت
تلك الراية الى عمر بن الخطاب فرفع الجواهر التي كانت
عليها وجعلها في بيت المال بعد ان قومت بالفي الف دينار
ومايتي الف دينار وذكر في المجسطي لبطلميوس ان بين
ابتداء ملك بخت نصر وبين الهجرة الف وثلثماية وتسع وتسعون
سنة وماية وسبعة عشر يوما وقال صاحب

الكنز الباهر ان مربع ماية في ماية لهزم الجيوش والعساكره
وقال صاحب لوامع البروق في سلطنة
الملك الظاهر برقوق من وضع مربع ماية في ماية في الاوقات
اللايقة به وجعله على لوآء بين يدى ملك انتصر على عدوه
وقد وضع لجماعة من ملوك الاسلام وقد قدم فصح ٥
وهو الوقف المنقول عن ثاليس الحكيم وكان يدفع
الطاعون عن اليونانيين في زمنه وذكر في كتاب
المضى لابن حديدة ان سعد بن ابى وقاص افتتح مداين كسرى
في زمان خلافة عمر رضى الله عنه واخذ سواره ومنطقته
وبساطه وكان ستين ذراعا في ستين ذراعا منظوما باللولو
والجواهر الملونة على الوان زهر الربيع وكان يبسط له في
ايوانه ويشرب عليه اذا عدمت الزهور وقسم ذلك البساط
بين المسلمين فاصاب عليا منه قطعة باعها بخمسين الف دينار
وما هى باجود تلك القطع وامر بابنة الملك يزدجرد فاوقفت
بين يديه وعليها من الحلى والزينة والجواهر الكثيرة

ما ان اللسان يقصر عن وصفه فامر المنادى ان ينادى عليها وقال
اظهر عن الاسلام وازل نقابها ليزيد المسلمون في ثمنها ٥
فامتنعت ووكزت المنادى في صدره فغضب عمر وهم
ان يعلوها بدرته وهى تبكى فقال على رضى الله عنه مهلا
يا امير المومنين فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ارحموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر فسكن غضبه ثم
اعطاها مع ما عليها للحسين رضى الله عنه وقريب
من هذا الحديث ما روى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال ارحموا ثلثة عزيز قوم اذا ذل وغنى قوم اذا
افتقر وعالما تتلاعب به الجهال وحكى ان عامل
بيت المال كتب رقعة الى عبد الملك بن مروان يقول فيها
ان المرتب في كل سنة على بيت المال ماية الف دينار وسبعون
الف دينار على سبيل الصدقة وهذا خلل في بيت المال فكتب
اليه الجواب يقول الغربة تذل الاعناق والفاقة
مرة المذاق والعيال عيال الله وهو الخلاق والمال

مال الله وهو الرزاق اجر الناس على عادتهم عند الاستحقاق
ما عندكم ينفد وما عند الله باق وما يحسن بالمورخ ان يورخ
منا المنع ومن غيرنا الاطلاق واتباع اثار الحسنه من
مكارم الاخلاق فاذا اقول قد تم تاريخ هذه
الحسنة ومكارم الاخلاق بهذه العبارات الفصيحة
البليغة يكتب في الاسطر والاوراق واجرى ذكر خيره
في الاخرين في البلدان والافاق ابد الابدين الى يوم
التناد والتلاق جزاه الله الكريم الخلاق خير جزا واحسان
فهل جزاء الاحسان الا الاحسان قال الله تعالى
وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ كما
قال تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وقال
تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون اللهم اجعل لنا لسان
صدق في الآخرين بمنك وكرمك العميم واجعلنا من ورثة
جنة النعيم انك انت الجواد الكريم سبحان ربك رب
العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

البابُ الثالثُ

في بيان ما يتعلق ببلاغة هذه الآية وفي التمرين في استنباط المعاني الملايمة للاعجاز نبيان اسرار آية من آيات القرآن

وفي تحقيق كون الآية الواحدة معجزة كاعجاز السور وفي هذا
الباب ثلاثة مقاصد ايضا **المقصدُ الاوّلُ**
ان البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى [الحال] كما ينبغي والمعاني
المنوطة بالبلاغة انما تحصل بطريق دلالة الالتزام لا
بالمطابقة ولا بالتضمن على ما حرر في موضعه **فان قلت**
هل توجد البلاغة في مفردات الكلام كما توجد في
الكلام **قلت** نعم **فان قلت**
فكيف يقبل هذا الكلام وقد صرح علما علم المعاني بان البلاغة
تختص بالكلام والمتكلم دون المفردات **قلتُ**
لا استبعاد فان الواقع خلافه بشهادة موارد استعمال

كلام العرب الا يرى ان ايراد المسند اليه معرفة في
مقام التعريف بلاغة في نحو زيد قايم كما ان ايراد المسند نكرة
في مقام التنكير بلاغة فيه ايضا ومعلوم عندك بالوجدان
والبرهان ان كل واحد من زيد وقايم فيه ليس بكلام اصلا
وله نظاير كثيرة جدا في الاستعمال لا تعد ولا تحصى واما قولهم
لم تسمع من العرب كلمة بليغة كما تسمع منهم كلام بليغ ومتكلم
بليغ فلا طايل تحته بعد شهادة الاستعمال بما ذكرنا على انا نقول
ذلك القول غير مسلم **فان قلت** فماذا تقول
في توجيه كلامهم **قلت** يأول كلامهم ههنا
بوجهين **الاول** ان المراد من الكلام في قولهم
البلاغة تختص بالكلام والمتكلم دون المفردات هو مطلق
المركب سواء كان مركبا بمعنى الكل او مركبا مع غيره وفي
تعريف الكلام على راي المعتزلة اشارة اليه لا تخفى على
المتامل فيه فيكون كل واحد من المسند والمسند اليه مفردا
من حيث النظر الى ذاته ومركبا مع غيره كزيد في نحو زيد قايم

فانه

فانه مفرد في حد ذاته ومركب مع قايم من حيث النظر اليه
الوجه الثاني ان المراد من المفردات في قولهم
البلاغة تختص بالكلام والمتكلم دون المفردات
هو المفردات اللغوية في حكم النعيق قبل وقوعها
في التراكيب فانها لا تتعلق بها المعاني النحوية لانتفاء مقتضيها
مع قيام المانع عنها فضلا ان تتعلق بها المعاني المتعلقة
بالبلاغة وقد عرفت ان في كل واحد من مفردات
هذه الآية وفي كلامها معاني نفيسة ونكتا دقيقة
لطيفة على ما ذكرنا في الباب الثاني مع ان فيها امورا فيما وراء
دايرة بيان عقل البشر لا يحيط بها الا علام الغيوب
تكاد هذه الآية ان تكون معجزة من هذه الحيثية كالسورة
وسيجيء زيادة تحرير لهذا في اثناء مباحث المقصد الثالث
ان شاء الله تعالى **المقصد الثاني** من المقاصد
الثلثة ان في عجاج بحر عمان قوله الله عز وجل وقيل
يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت

على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين درر منظومة غالية
وجواهر نفيسة عالية وذلك بان يقال الواو
في قوله تعالى وقيل يصلح لان تعطف هذه القصة على القصة
التي ذكرت قبلها للتغاير بينهما مع انهما متحدتان في افادة
المقصود ومثل هذا يصلح لان يكون مرجحا لاستعمال الواو
ههنا على استعمال الفاء بناء على رعاية مقتضى القواعد العربية
وجاءت هذه الافعال على ابنية المفعول للدلالة على
غاية المهابة ونهاية النباهة وعلى ان تلك الامور العظام لا
تكون الا بفعل فاعل قادر وبتكوين مكون قاهر وعلى ان
فاعلها فاعل واحد لا يشارك في افعاله فلا يذهب الوهم الى
ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ولا الى ان يقضي
ذلك الهائل غيره ولا يسوغ عند العقل ان تستوي السفينة
على متن الجودي وتستقر عليه الا بتسوية الله القادر القهار
وتقريره اياها عليه والبلع عبارة عن النشف وغيض معناه
نقص من غاضه اذا نقصه ومعنى قضي الامر انجز ما وعد الله نوحا

عليه

عليه السلام من هلاك الكافرين ونجاة المومنين وبعدا
من قبيل قولهم بعد بعدا اذا ارادوا البعد البعيد بحيث لا
يرجى عوده فاستعمل ههنا في معنى الهلاك ولهذا اختص
استعماله بدعاء السوء هذا وان الفاظ هذه الآية الفصيحة
البليغة غريبة مستعملة جارية على مجاري الاستعمال
موافقة للقوانين العربية سليمة عن وصمة التنافر بعيدة
عن قيد البشاعة بمراحل عذبة على العذبات سلسة على الاسلات
كل منها كالماء في السلاسة وكالعسل والشهد في كمال
الحلاوة وكالنسيم في لطافة الرقة ولله در شان التنزيل
لا يتامل العالم آية من آياته الا ادرك لطايف لا تسع
الحصر وان معانيها منتظمة غاية انتظام حسب انتظام
الفاظها بلا تعقيد ولا التباس

كلامٌ في سرايرِ سرورٌ ومناجيهِ من الاحزانِ ناجِ
وكم معنًى بديعٍ تحت لفظٍ هناكَ تزاوجا كلَّ ازدواجِ

فان قلت فهل يجوز ان يكون الجامع بين الجمل التي

عطف بعضها على بعض بالواو جامعًا خياليًا على حسب ما اتفق
وقوع مضمون كل واحدة منها في الواقع مع ملاحظة قصة
نوح عليه السلام ثم اشتهر ذلك عند الناس
قلت نعم فان قلت
فهل يجوز ان يكون جامعًا عقليًا بنآء على ان كل واحد من هذه
الاخبار قد افاد للمخاطب امرا من المغيبات فاشترك الكل
في افادة الفايدة له قلت نعم يجوز لكنه
دون الاعتبار الاول فان قلت فهل يظهر ان
يكون بينها جامع وهمي قلت لا يظهر
فان قلت فهل في التعرض للقول في هذين
الموضعين من المواضع الخمسة فايدة قلت
نعم فيه فوايد وهي الاشعار بكمال عظمة مهابة جناب رب
العزة والجبروت في القلوب والنفوس من حيث ان الارض
والسمآء والاجسام الجسام والاجرام العظام تابعة لارادته
انجادا واعداما كانها عقلاء مميزون قد عرفوه حق

معرفته واحاطوا علما بوجوب الانقياد لامره والاذعان
لحكمه ويحتم بذل المجهود عليهم في تحصيل مراده واكتسابه
فان قلت لا شك ان هذه الفايدة توجد في
التعرض في قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سمآء اقلعي
فهل توجد تلك الفايدة في التعرض للقول في قوله تعالى وقيل
بعدا للقوم الظالمين قلت نعم فانهم
مسخرون تحت ارادة هلاكهم فكانوا الجمادات في معنى التسخير
فحصل ههنا الاشعار بكمال عظمة المهابة كما حصل هناك
فان قلت فلم لم يتعرض للقول في قوله تعالى
وغيض المآء وقضي الامر واستوت على الجودي قلت
لكون المقام مقام الاخبار بعد الوقوع لا مقام الامر قبل
الوقوع فاعطى لكل مقام ما يليق به كما ينبغي ولا يخفى
عليك ان امثال ما ذكرنا ههنا ما دون فيها شرعا لكونها
واردة في مجاري استعمال كلام العرب ومطابقة لمقتضيات
القواعد العربية ثم ان علمآء علم المعاني والبيان استقصوا

هذه الآية ورقصوا لها روسهم لما اشرنا اليه من المعاني
النفيسة واللطايف الشريفه والنكت الدقيقة الغريبة
والفوايد البديعة العجيبه ولقد احسن من قال في شانها
دركلام ايزدي چون كه منزلست كي بود تبت يدا چون
يا ارض ابلعي وقال صاحب المفتاح بعد ما
استنبط من بحر فوايد هذه الآية درر انفيسة ثمينة
باهرة وجواهر عبقرية لامعة قاهرة ولا تظنن الآية
مقصورة على ما ذكرت فلعل ما تركت اكثر مما ذكرت لان
المقصود لم يكن الا مجرد الارشاد لكيفية اجتناء ثمرات علمي
المعاني والبيان وقال الامام الرازي عند شرح
قول الشيخ بعبارة بليغة في مقامات العارفين واما كون العبارة
بليغة فيجب تقديم تفسير البلاغة وهي في الاصل عبارة عن
بلوغ الرجل بعبارة كنه ما في ضميره ولا بد مع ذلك من امر آخر
لينتفع به في مطلوبنا هذا وهو ان دلالة الالفاظ اما بالمطابقة
واما بالتضمن او بالالتزام وقد بينا في كتاب الاعجاز ان الفصاحة

تبلغ

اي البلاغة لا تحصل الا من دلالة الالفاظ الالتزام وايضا
النفس في جوهر الملايكة مشتغلة عن جميع الاجسام والاعراض
مستحضرة لها غير ملتفتة اليها بل هي لا تنفعل الا اذا استقرت
في جانب الله تعالى وتفكرت في عظمته ولاح لها شي من جلاله
وكبريايه فانها هناك تتلاشى وتضمحل قال
الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب وهذا مشعر
بالحصر في لغة العرب فاذا عرفت ذلك فنقول اذا
اراد الانسان التعبير عن كمال ذات الله تعالى وتقدس
وعن عظمته وصفته بصفة من الصفات بعبارات دالة
عليها بطريق الالتزام دلالة غير موصلة الى كنه المعنى بتمامه
بل دلالة مكشوفة من وجه ومبهمة من وجه آخر فبالقدر
الذي حصل من الادراك تحصل اللذة والاستعظام وبالقدر
الذي لم يصل اليه ولم تحط به بقي مشتاقا اليه فيحصل هناك
لذات نفسانية والآم نفسانية بسبب الشوق الى ما لم
يصل اليه ثم لتعاقب تلك اللذات والآلام يكون الشعور بها

اثم ولاختلاطها يحس بها كالحالة الواحدة المختلطة من اللذة
والالم فيحصل هناك حالة شبيهة بالدغدغة مدهشة مطربة
مع نوع من الاستعظام والحيرة والكلام الواقع على هذا
الوجه في اعلى طبقات البلاغة وشاهده قول الله عز وجل
وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي فانا لو قلنا ان ما فيه من
الرصانة لما فيه من الترصيع في قوله تعالى ابلعي واقلعي والمطابقة
في قوله تعالى يا ارض ويا سماء لكان شيا قليلا والحدس السليم والذوق
شاهدان بان الروعة التي نجدها بانفسنا ووجداننا اكثر كثيرا
مما يقتضيه هذا القدر وهكذا الامر في ساير هذه الآية بل في
جميع القران بكلامه وكلماته وحروفه مع ترتيبها ثم انا اذا
فتشنا وجدنا السبب فيه ما ذكرناه فان لفظة قيل فعل لم يسم
فاعله مع ان المراد منه هو الله سبحانه وتعالى وذلك يشعر بانه
سبحانه وتعالى في غاية العظمة والكبريا بلا احصاء ولا نهاية
فاذا وجب ان لا ينصرف العقل الا اليه وحده لكون ما عداه بالنسبة اليه
كالمعدوم قال الله تعالى كل شيء هالك الا وجهه

والوهم والفكر

ثم ان هذه الكلمة مشعرة بكمال المهابة والعظمة من
هذا الوجه وان لم يكن فيها بيان تفصيلي لها حتى لو قلت قال
الله تعالى يا ارض ابلعي ماءك لذهب اكثر تلك الروعة والفخامة
والمهابة وكذلك قول الله تعالى يا ارض ويا سماء مشعر
بنفوذ امره سبحانه وتعالى على هذه الاجسام العظيمة الجسيمة
الجليلة ومن نفذ امره فيها كان بالعظمة اجدر فهذا مشعر
بنوع من العظمة والقهر على الاجمال لا على سبيل التفصيل
حتى لو صرحنا بذلك التفصيل مثلا وقلنا انه مع قطع مادة
المطر من السماء وجعل الارض ناشفة الماء لم يبق شيء من تلك
الروعة والمهابة واما قول الله تعالى خذ العفو وامر
بالعرف واعرض عن الجاهلين فهو في غاية الحسن والجمال
لاشتماله على مجامع الاخلاق الفاضلة لكنها لكونها متناولة
لاخلاق النفس لا للامور الالهية لم يكن فيها من الروعة ما في
الآية الاولى فقد ظهر مما ذكرنا انه كيف ينبغي ان يكون الكلام
بليغا حتى يكون ملايما للنفوس الفاضلة هذا وروي ان

تعلى ح

الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمد وعن قتادة
استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء
خمسين ومائة واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم
عاشوراء وروي ايضا انها مرت بالبيت فطافت به سبعا
وقد اعتقه الله تعالى من الغرق وروي ان نوحا عليه السلام
صام وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى فصار سنة

المقصد الثالث ان هذه الآية ينبغي ان تكون
معجزة ببلوغها اعلى مراتب البلاغة لاشتمالها على معاني ملايمة لحد
الاعجاز على ما نبهنا على بعضها وبعضها فيما وراء داير العقل والادراك
كما انها معجزة باخبارها عن المغيبات وغير ذلك على ما حرر وفصل
في بيان جهات اعجاز القرآن بل اقول هي في شان الاعجاز
كأنها جبل في راسه نار مشهورة عند الناس مقبولة بلا منازع
ولا مدافع وحكي انهم كانوا قد علقوا القصايد السبع
على باب الكعبة ويقولون لا ننزلها حتى نطلع على ما هو افصح
منها وكانوا يعاندون في افصحية ما ينزل في آيات القرآن

حتى نزلت هذه الآية فانزلوا تلك القصايد السبع حينئذ فلم
يبق لهم طريق الى العناد واذعنوا لها لما ادركوا من كمال
بلاغتها التي بذت كل كلام بليغ والمثل المشهور عند القوم ان
الفضل ما شهدت به الاعداء ويقوي ما ذكرنا قول
بعض الفقهاء في اقل ما يؤدى به فرض قراءة القرآن في الصلوة
هو قراءة آية طويلة او ثلاث آيات ولقد اشار الى ذلك
بعض العلماء حيث قال المعجز هو السورة او مقدارها اخذا
من قوله تعالى فاتوا بسورة من مثله فان قلت
هذا الذي ذكرته من اعجاز هذه الآية وحدها مخالف لما تقرر
عند الناس من ان المعجز اما القرآن بتمامه واما سورة من سوره
او ثلاث آيات منه قلت انه لا يخالف ما تقرر
عندهم في التحقيق وان كون هذه الآية الطويلة معجزة مسكوت
عنه لم يتعرض له بالنفي والاثبات بل في كلامهم تنبيه على اعجازها
على ما ذكرنا على انا نقول يمكن ان يكون المراد من قولهم
او ثلاث آيات منه ثلث آيات منه بحيث لا يكون آية طويلة

معها

بالغة حد الاعجاز جمعا بين ما ذكرنا وبين ما تقرر عندهم بحسب
الظاهر ولا يخفى على المتامل ان حاصل هذا الاعتراض مجرد استبعاد
ومجرد الاستبعاد بعد قيام البرهان على خلافه لا اعتبار له في
قانون التوجيه والمناظرة والمحاورة **فان قلت** فهل
يجوز ان تكون ساير الآيات الطوال المشتملة على معاني بالغة حدود
معاني اعجاز السور معجزا ايضا **قلت** نعم هو جايز بل واقع
على ما نبهنا عليه في الباب الثاني عند تفسير قوله تعالى قالوا يا لوط
انا رسل ربك لن يصلوا اليك الآية فاذا كانت الآية الطويلة الموصوفة
بما ذكرنا معجزة فوجوه الاعجاز مما لا تدخل داير الضبط
والاحصاء لا سيما عند من قال القران معجز بجهات اخر غير
جهة البلاغة اللهم زدنا علما ووقوفا على معاني القران العظيم
بمنك وكرمك انك انت الكريم الحكيم

خاتمة للباب الثالث بطيب جمال وجه
النصيحة **قال الله تعالى** اذا نصحوا لله ورسوله **كما قال**
الله تعالى ولتكن منكم امة يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر

وقال النبي صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة لله ولرسوله
ولائمة المسلمين وعامتهم فيكون كلمة النصيحة من جملة جوامع
الكلم ولاجل هذا قال صاحب التيسير النصيحة هي الدعاء
الى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد **فاقول**
قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع
المحسنين **ومن ههنا قيل** الطريق الى الله عز وجل بعدد
انفاس الخلايق لكنها منحصرة في ثلثة انواع **النوع الاول**
هو طريق ارباب المعاملات بكثرة الصوم والصلاة وتلاوة
القران والحج والجهاد وغيرها من الاعمال الظاهرة فهذه
طريقة الصلحاء الاخيار **النوع الثاني** منها هو طريق
ارباب المجاهدات والرياضات في تبديل الاخلاق وتزكية
النفس وتصفية القلب وتحلية الروح والسعي فيما يتعلق
بعمارة الباطن فهذه الطريقة هي طريقة الزهاد الابرار
وهذه الطريقة اعلى واقرب في الوصول الى جناب الحق
عز وجل قال الله تعالى قد افلح من زكيها وقد خاب من

دسيها **النوع الثالث** هو طريقة السايرين الى
الله تعالى والصايرين اليه فهذه الطريقة طريقة العارفين
واهل المحبة السالكين بالجذبة وهذه الطريقة اعلى من الطريقة
الثانية **قال الله تعالى** حكاية عن ابرهيم الخليل صلوات
الله عليه انى ذاهب الى ربى سيهدين **ولقد اشار اليها النبى**
صلى الله عليه وسلم جذبة من جذبات الرحمن خير من عبادة
الثقلين **كما روى** عنه صلى الله عليه وسلم انه قال جذبة
من جذبات الرحمن توازى عبادة الثقلين **وقال بعض العلماء**
ان رفع اليدين مع التكبير عند الشروع فى الصلوة يشير بلسان
الحال الى السلوك فى مثل هذه الطريقة على سبيل التشبيه **ثم**
ان هذه الطريقة مبنية على الموت بالارادة قال النبى صلى
الله عليه وسلم موتوا قبل ان تموتوا ثم الموت بالارادة موقوف على
عشرة اصول **الاصل الاول** هو التوبة وهى
الرجوع الى جناب رب العزة سبحانه وتعالى بالارادة كما ان الموت
رجوع بغير الارادة والخروج عن الذنوب كلها وقال اهل

العرفان الذنب هو ما يحجبك عن الله تعالى من مراتب الدنيا والآخرة
وقد ورد فى مثله هذا القول المشهور حسنات الابرار سيات
المقربين فاذا الواجب على الطالب الصادق هو الخروج عن كل
مطلوب سواه حتى الوجود ولهذا قيل وجودك ذنب لا يقاس
به ذنب **وقريب** من ذلك قول من قال طريق الخلاص هو
الاقبال بالكلية على الله وحده **واما** الجمع بين ما ذكر وبين قول من
قال وجودى ان اغيب عن الوجود بما يبدو على من الشهود
فلا يخفى على من كان من اهل التحقيق والعرفان

الاصل الثانى هو الزهد فى الدنيا وهو الخروج
عن متاعها واسبابها وشهواتها قليلها وكثيرها مالها وجاهها
كما ان بالموت يخرجون منها وحقيقته ان تزهد فى الدنيا
والآخرة **قال** النبى صلى الله عليه وسلم الدنيا حرام على
اهل الآخرة والآخرة حرام على اهل الدنيا وهما حرامان على اهل
الله تعالى **الاصل الثالث** هو التوكل على الله تعالى
وهو الخروج عن الاسباب والتسبب بالكلية ثقة بالله تعالى

كما هو بالموت قال الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه
الاصل الرابع هو القناعة وهي الخروج عن الشهوات
النفسانية والتمتعات الحيوانية كما هو بالموت الا ما اضطر اليه من
الحاجة الانسانية فلا يسرف في الماكول والملبوس والمسكن
ويختصر على ما لا بد منه الاصل الخامس هو العزلة بالموت
وهي الخروج عن مخالطة الخلق بالانزواء والانقطاع كما هو الا
عن خدمة شيخ واصل مربٍ له فهو كالغسال للميت فينبغي
ان يكون بين يديه كالميت يتصرف فيه كما يشاء ليغسله بماء
الولاية عن جنابة الاجنبية ولوث الحدث الاصل
السادس هو ملازمة الذكر وهو الخروج عن ذكر ما
سوى الله تعالى قال الله تعالى واذكر ربك اذا نسيت غير
الله تعالى على بعض وجوه التاويل كما هو بالموت الاصل
السابع هو التوجه الى الله عز وجل بكليته وجوده والخروج
عن كل داعية تدعو الى غير الحق كما هو بالموت فلا يبقى له مطلوب
ولا محبوب ولا مقصود ولا مقصد الا الله وحده ولو عرض عليه

مقامات

مقامات جميع الانبياء والمرسلين لا يلتفت اليه بالاعراض عن الله
تعالى لحظة قال الجنيد رحمه الله تعالى لو اقبل صديق على
الله تعالى الف سنة ثم اعرض عنه لحظة فان ما فاته اكثر مما ناله
الاصل الثامن هو الصبر وهو الخروج عن حظوظ
النفس بالمجاهدة والمكاره كما هو بالموت والثبات على فطامها
عن مالوفاتها ومحبوباتها لتزكيتها وخمود شهواتها والاستقامة
على الطريقة المثلى لتصفية القلب وتحلية الروح قال
الله تعالى وجعلنا منهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا
باياتنا يوقنون الاصل التاسع هو المراقبة وهي
الخروج عن حوله وقوته كما هو بالموت مراقبا لمواهب الحق متعرضا
لنفحات الطافه معرضا عما سواه مستغرقا في بحر هواه مشتاقا الى
لقايه اليه الاصل العاشر هو الرضا وهو الخروج عن رضا نفسه
بالدخول في رضا الله تعالى بالتسليم للاحكام الازلية والتفويض
للامور الابدية بلا اعراض ولا اعتراض كما هو بالموت
كما اشار اليه البعض بقوله • وكلت الى المحبوب امري كله • فان شا احياني وان شا اتلفا

فمن كان يموت في الدار الاولى بارادته عن هذه الاوصاف الظلمانية
فالله تعالى يحييه بنور عنايته في الدار الاخرى حيوة ابديه قال
الله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس
كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها الآية ٥ هذا وان للقوم
ههنا كلاما مبسوطا منوطا بتفصيل ما ذكر لكن فيما لخصناه
غنية عنه وكفاية لاولي الفكر والعبر فلنقتصر على هذا القدر
اليسير المشير الى حسن وجه المرام فان خير الكلام ما قل ودل
وليكن آخر الكلام في محاض النصح للانام ٥

مثل قول من قال

دع الدنيا ولا تركن اليها ۔ ومع من فر منها سل سبيلا ∴
عساك بتركها تحظى بدار ۔ بها عين تسمى سلسبيلا ∴

قال المولف فسح الله في مدته

حصل الفراغ من ترتيب كتاب نزهة الاخوان بعون الله الكريم الحنان ثالث
عشر صفر المبارك سنة تسع ستين وثمانمايه بالتاريخ الهجري القمري
العمري العبقري حسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

وكان الفراغ من [illegible] عشرين [illegible]
على يد فقير [illegible] علي محمد [illegible] غفر الله له ولوالديه ولجميع [illegible]